دعوة الحق



د. علي محمد نصر

السنة السابعة - العدد ٧٦ - رجب ١٤٠٨هـ - فبراير ١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحيم



التقديـــــــم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإنى أستلهم الرشد من الله تعالى فيما أنا بصدده من البحث فى قصة استخلاف أبى البشرية آدم عليه الصلاة والسلام واستعين بربى على انجاز ما شرعت فيه بعد أن وجدتنى منشرح الصدر منبسط النفس للبحث فى هذا الموضوع الذى نجد آياته فى سورة البقرة أكثر من غيرها من الآيات فى غيرها من السور .

و إنما كان اختيارى لهذا الموضوع مع كثرة ما فيه من المباحث وتشعبها على الباحث وتعدد مسالكه وكثرة مزالقه ، لأن هذا البحث فى نظرى من الأهمية بمكان فهو يشد الانسان إلى قدر نفسه . ومكانته عند ربه وأنه أهل لأن يكون خليفة الله فى أرضه دون الجن والملائكه المقربين فعليه أن يقيم موازين العدل وأن يحسن الصلة بينه وبين خالقه الذى نصبه خليفة حتى يكون قد أدى مقتضيات الخلافة التى نيطت به ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا**﴾ .

كما أن هذا البحث فيه رد لكثير من الشبه الواردة على خلق آدم عليه السلام والواردة على جنته وفيه رد على الشيعة بشأن الخلافة

والنص على عليّ رضى الله عنه وغير ذلك مما خالف الكتاب والسنة .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم محمود البدء والنهاية مكللاً بالقبول من أساتذتى أصحاب الفضل والمنة شكر الله لهم وجزاهم عنى وعن خدمة العلم والدين خير الجزاء فلا زلت أدين لهم بالفضل واعترف لهم بالجميل .

كما أسأله تعالى أن يجعله باكورة خير لما بعده من بحوث حتى يكون قطرة من بحر . إنه على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

د / علي محمد نصر

بين يدى البحث

الكلام فى استخلاف آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام تتسع آفاقه وتبعد غاياته وتمتد نواحيه وتقف دونه الألفاظ والمعانى حاسرة كليلة وهل فى وسع باحث مثلى أن يحيط خبرا بحقيقة ما جرى بين آدم ومولاه فلا يعلم حقيقة المراد من كلام الله إلّا الله الحكيم الخبير الذى أحاط بكل شىء علماً .

سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ومع كل هذا فقد خلق الله العقل وجعل له مجالاً ينشط فيه ويدور فى إطاره الذى لا يتعداه : يبحث وينقب ويقابل ويقارن ويحقق ويدقق ويختار الأقرب ويهجر البعيد ، فتارة يخطىء وتارة يصيب وطوراً يكل وأحياناً يزل .

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وعلىَّ أن أطلب العون من الله تعالى حتى يتم ما كلفت به من البحث مرضياً مقبولاً إن شاء الله .

يارب أيدنى بفضلك واكفنى
شطط العقول وفتنة الأفكار

وقد رأيت من الأحسن أن أسير فى هذا البحث على نمط

الترتيب الذى ورد به القرآن الكريم بشأن استخلاف آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فى سورة البقرة التى تتجلى فيها قصة استخلافه عليه السلام أكثر من غيرها من السور مع التعرض لبعض الحقائق التى ذكرت فى السور الأخرى ولم تذكر فى سورة البقرة وذلك مثل لفظ الروح الذى ورد ذكره فى سورة الأعراف وغيرها ومثل مادة الخلق فى قوله تعالى ﴿**إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين**﴾ الذى ورد فى سورة «ص» .

وذلك يكون عندما تكون هناك مناسبة تدعو للتعرض لتفسير تلك الحقائق حتى يستوعب البحث أو يكاد الكثير من الحقائق التى تفرقت فى القرآن الكريم بشأن هذا الموضوع .

ومع التعرض لبسط القول بذكر أقوال العلماء وآرائهم فى الأمور التى هى محل الخلاف مع اختيار أقربها إلى الصواب . بعد مقارنة الأدلة وعرضها على ميزان العقل الذى يستنير فى اختياره بأصول الشرع ومبادىء الدين بعد تجريده من كل فكرة عصبية وبعد تخليته ونفسه ليصدر فى اختياره عن هدى وبصيرة لا عن عصبية وهوى . والله هو الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

قصة استخلاف آدم عليه السلام :

يا أبى وأبا البرية بسم الله يستفتح أحد أبنائك أبواب جنتك ويستأذن كرم أبوتك أن يمثل بين يديك فى خلوتك وبقدرته سبحانه يستعين على طى آلاف السنين ويركض جواد الشوق إليك متغلغلاً فى ثنايا أحشاء القرون ليشهد فى أبوتك الكريمة آية آية وليتحدث

فيك إلى الأنام يا أبا الأنام .

أما بعد فإن واجب الأبوة على البنوة يحتم على أن أتحدث إليك قليلاً فى بنيك وذراريك قبل أن أتحدث إليهم فيك مستحضراً فى حديثى إليك أنى ماثل بين يديك .

إنهم يا أبى كعهدك بابنيك هابيل وقابيل فيهم البر والفاجر والأمين والشاطر والمؤمن والكافر والصالح والطالح . والمجرم والتقى والذكى والغبى . ظلام ليل تحتشد فيه النجوم الطالعة وغثاء سهل تتخلله الثمار اليانعة عنصرا خير وشر يتنازعان فلا يتفقان ولونا نور وظلام يتنافران ولا يلتقيان يعمل الشر على أن ينتقم من الخير ويأبى إلّا الظفر ليظل ويدوم ويجد الظلام لكى يمحو آية النور ... ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

صنف عنصرهم الشر قد اختبر الله بهم البشر يا أبا البشر قاموا وهم اليهود الأبالسة ومعاونوهم يعتدون على الناس بعد أن تجردوا من الانسانية ويدكون حصون الحرية والمدنية باسم الحرية والمدنية . وبئست هذه المدنية الوحشية التى تقض مضاجع البشرية وتهدم وتأتى على بنيان الحرية وتسفك الدماء وتمنع الحقوق وتعطل الشعائر الدينية .

يتظاهرون بأنهم أصحاب الحقوق وهم المغتصبوها . ويظهرون بمظهر الدفاع عن الشعوب وهم الظالموها .

لقد أساءوا إلى الإنسانية بانتسابهم إليك ، فأنت آدم وليسوا من الآدمية فى شىء ، وأنت الانسان يا أبا كل إنسان وأنى لهم عاطفة الانسانية وأنس الانسان أولئك حزب الشيطان الا إن

حزب الشيطان هم الخاسرون .

«عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير»

فهلا دعوت لأبنائك يا أكرم أب بعد إذ أجاب الله دعوتك وقبل توبتك ومن الآباء تقبل الدعوات ألا دعوت ربك أن يخلص الانسانية من هؤلاء الدخلاء وفاقدى الضمير وميتى الاحساس ، وأن يبصر بنيك إلى المهمة التى خلقوا من اجلها . وأن يعرفهم بمكانتهم حتى يقوموا بما نيط بهم من واجب وما علق بهم من مهمات .

هنالك ترى الانسانية فى أكرم عيش وأحسن حال قد توفرت لها أسباب الحياة الكريمة حياة العزة والكرامة والآن بعد أن تحدثت إليك يا أبى فى ذريتك استميحك الاذن لأتحدث إليهم فيك وفى الحق إنى أتمتع بقربك الآن يا أبا البشر لله أنت ما ابدعك وما أروعك رفيع الهامة آدم البشرة ساحر النظرة حسن الشارة حكيم العبارة رأيتك فنظرت فيك نفسى . وحاورتك فلقيت فى حوارك عقلى واطمأننت إليك فوجدت فى عطفك ولطفك وجدانى وقلبى . إذن فأنا وأنت وهو قد امتدت إليه قدرة القادر فألقت فينا بين العناصر المتنافرة مادة وروح ، وظلمة ونور وحيوانية وملائكية جمعت كل أولئك فى خلق عجيب سمته الانسان فكان أنطق آيات بالحجة والبرهان ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ .

وما أبدع أن يكون الانسان نفسه حجة والآن قد فطنت يا أبا البشر لم كنت حجة الله البالغة على الملائكة إذ تحدثوا إليه فيك وكان

من أمرهم ما كان كما قصه علينا القرآن الكريم إذ يقول :

﴿وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .... قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [(١)]

كما ذكر ذلك فى سورة الأعراف إذ يقول :

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك الا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين .

(١) من آية ٣٠ إلى الآية ٣٨ سورة البقرة .

قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ، قال أنظرنى إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذءوماً مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووری عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾[1] .

وقد قص القرآن الكريم هذا أيضاً فى سورة طه فقال :

---

(١) من آية ١١ إلى آية ٢٧ من سورة الأعراف .

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى . فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإنه له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .﴾[١] وقد ذكرت قصة آدم عليه السلام أيضاً بسورة الحجر والاسراء والكهف و ص .

هذه هى الآيات التى تتجلى فيها قصة استخلاف آدم عليه السلام فى الأرض التى خلقها الله فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد اقتضت الحكمة الالهية أن يُبرأ آدم وذريته ليقطنوا الأرض ويعمروها . فأنبأ ملائكته أنه سينشىء خلقاً آخر تعمر بهم الأرض ويضرب نسلهم فى أرجائها ويخلف بعضهم بعضا . ولما كانت الملائكة لا يدرون الحكمة من هذا الأمر العظيم كما قصه علينا القرآن

(١) من آية ١١٥ إلى آية ١٢٧ من سورة طه .

الكريم ولا يعلمون سبب خلقه وقد أعلمهم الله تعالى أن المستخلفين دونهم فى التقوى والعبادة . توجهوا إليه تعالى قائلين :

﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قالوا ذلك رغبة فيما يزيل شبههم وقد امتد رجاؤهم ان يستخلفهم فى الأرض لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . حينئذ أجابهم تعالى بما به يطمئنون فقال ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ وأعلم من الحكم فى استخلافى لآدم وذريته ما لا تدركون وستعرفون ما خفى عليكم . ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾ .

سوى الله آدم من طين من صلصال من حماءٍ مسنون . ثم نفخ فيه من روحه فصار بشراً سوياً يفعل ويدرك ويفهم ويعقل ويحس وينتقل ثم عمه الله تعالى بفضله وأفاض عليه من نوره وعلمه أسماء الكائنات كلها . ثم عرض هذه المسميات على الملائكة فقال :
﴿**أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ .

وإظهاراً لعجزهم وقصر مدى علمهم وإن آدم بذلك أجدر وخلافته لا تنكر . ولما ووجهوا بذلك أقروا بعجزهم وقصور علمهم وقالوا ﴿**سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾ .

ولما كان آدم قد عل ونهل من فيض ربه واقتبس من نور علمه فعلمه هذه الأسماء أمره تعالى أن ينبئهم بما عجزوا عن معرفته ويخبرهم بما قصرت مداركهم من علمه تنويهاً بشأنه وإظهاراً لحكمة استخلافه فأعلمهم آدم بما عجزوا عنه فناداهم ربهم :

﴿ألم أقل لكم إنى أعلم ما لا تعلمون﴾ حينئذ عرفوا حكمة استخلافه ثم أمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام طاعة لأمر الله واحتراماً لآدم عليه السلام فسجدوا إلّا إبليس فقد خالف أمر ربه وازدرى آدم عليه السلام فأبى واستكبر وكان من الكافرين .

ولما قال تعالى له بعد عصيانه **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىَّ أستكبرت أم كنت من العالين﴾** قال زاعماً انه خير من آدم وليس من العدالة أن يسجد لمن هو أدنى منه منزلة **﴿أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾** فعاقبه تعالى على مخالفة أمره وطرده من جنته وقال له **﴿اخرج منها فإنك رجيم . وان عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾** .

وبعد هذا اللعن وذاك الطرد أراد أن ينتقم اللعين من آدم ومن ذريته باغوائه ووسوسته فقال : **﴿رب أنظرنى إلى يوم يبعثون﴾** فأجابه تعالى فقال **﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾** وذلك بعد أن لم يجعل له سبيلاً على عباده المخلصين : **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين﴾** .

ولما طرد الله تعالى إبليس توجهت عنايته تعالى إلى آدم فأسكنه وزوجه الجنة وحذرهما الشيطان الذى هو عدو لهما ونهاهما عن طاعته . وأباح لهما جميع ثمار الجنة الا ثمر شجرة من بين أشجارها الكثيرة وقد عرفها تلك الشجرة وأزال كل إبهام فى شأنها أوشك فى معرفتها . فعينها بالاشارة إليها وابعاداً لكل ريب فى شأنها أوعدهما بالدخول فى زمرة الظالمين ان اكلا منها . ووعدهما ان يمدهما بكل

أنواع النعيم إن اجتنباها فلا يمسهما جوع ولا عرى ولا ينالهما ظمأ ولا نصب قال تعالى : ﴿**إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**﴾ . سكن آدم عليه السلام الجنة وجال بين رياضها وتمتع بلذيذ ثمارها وتفيأ بظلالها وتمتع بجميع ما فيها وشاركته فى ذلك زوجه حواء وعاشا على ذلك مدة يرشفان جميع مناهل السعادة .

آلم ذلك إبليس وحزّ فى نفسه وهو المطرود من رحمة الله بتكبره وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام فدلف إلى الجنة ووسوس لآدم وأغواه وأمره بالأكل من الشجرة هو وزوجه حواء بعد أن أقسم لهما بأنه لهما من الناصحين . حيث إن الأكل من شجرة النهى يورث الخلد فى الجنة ونعيمها فقال :

﴿**مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين**﴾ .

وإنما أقسم لهما ليؤكد لهما صحة نصحه ولا شك أنه ألح فى اغوائهما وبالغ فى الاحتيال عليهما . فاغترا بقوله ومعسول وعده ونزلا على امره بالأكل منها حينئذ حرما البقاء فى الجنة :

﴿**وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين**﴾ الآيات ولما أنابا إلى الله وتابا وقالا : ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ . قال تعالى : ﴿**اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾ وبعد أن تاب الله عليهما وغفر لهما قرت عينهما وانبثق الأمل فى نفسهما ببقائهما فى الجنة والتمتع بنعيمها .

وقد علم تعالى ما جال بخاطرهما فأمرهما بالهبوط وأنبأهما بأن العداوة بينهما وبين إبليس لا تزال قائمة ليحذرا فتنته فقال تعالى : ﴿**اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتيكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى**﴾ ومن هنا إنتهى طور النعيم الخالص . وابتدأ طور آخر فيه هدى وضلال و إيمان وكفر وفلاح وخسران فمن اتبع هدى الله الذى شرعه وسلك الصراط المستقيم فلا خوف عليه من وسوسة الشيطان ومن نأى عن ذكر الله وحاد عن سبيله فسيكون عيشه ضنكاً وسيكون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . وإلى هنا انتهى الكلام الاجمالى لقصة آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[١] .

والآن يحسن أن نتكلم على حادث آخر واجه آدم وحواء عليهما السلام بعد أن استقر بهما المقام على ظهر البسيطة وهو نبأ ابنيهما هابيل وقابيل لأن لهذا النبأ مساساً بشأن خلافة الإنسان فى الأرض حيث كان هذا النبأ نتيجة للميل عن سنن الخلافة فأهريق أول دم على وجه الأرض بسبب اغواء إبليس الذى عمل جاهداً ليثأر لنفسه من ذرية عدوه آدم عليه السلام .

---

(١) انظر عرض قصة آدم عليه السلام فى قصص القرآن للأستاذ محمد أحمد جاد المولى .

نبأ ابنى آدم :

لما كان نبأ ابنى آدم أول حدث يتمثل فيه الخروج عن منهج الخلافة من أحد ابنى آدم عليه السلام والالتزام به من أحدهما أقول : لما هبط آدم عليه السلام وزوجه إلى الأرض وبدآ حياتهما فيها أخذ نظام الحياة يستكمل لما تهيأت حواء لاستقبال بنيها أول زهرة تفتحت فى رياض الانسانية . ولتسعد مع زوجها وتأنس بهم وقد كان لهما كبير الأمل فى رؤية فلذات الأكباد تدب على الأرض كما كان آدم حفيا بأبنائه وحواء مستبشرة بقدومهم رغم ما قاست من أهوال وآلام . إلا انها لا تلبث حتى يدفعها بلسم العطف والحنان بيده فإذا هى قريرة العين باردة الفؤاد .

وضعت حواء توأمين احدهما قابيل وأخته . والآخر هابيل وأخته ففرح بهما الأبوان وقاما برعايتهما وسهرا على تربيتهما بما يجب عليه نحوهما إلى أن شب هابيل وقابيل وبلغا مبلغ الرجال . ورغب كل منهما إلى قرين للحياة به تكون متعة الحياة .

فشرع تعالى لآدم أن يزوج كل فتى من بنيه بتوأم أخيه وبهذا أوعز آدم إلى أبنائه لولا جموح النزعة البشرية والغريزة الانسانية التى قوامها الحرص الطمع وقد أمر الانسان أن يكبح جماح نفسه ولما أسر آدم بمكنون صدره إلى ابنيه ثار قابيل لأن نصيبه أقل جمالا من نصيب أخيه ومن هنا ابتدأ الشقاق بين الأخوين فقد أعرض أحدهما عن طاعة أبيه وما كان يتصور ذلك من ذى قبل وتوزعت نفسه بين رغبة ابنيه والابقاء على السلام بينهما إلى أن هداه الله تعالى إلى وسيلة التوفيق بينهما فأمرهما بأن يقرب ويقدم كل منهما قربانا إلى

الله تعالى فأيهما قبل قربانه كان أحق بما اشتهى فقرب هابيل جزعه سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة زرع ردىء وكان زرعه قمحا وكل منهما يأمل بأن يفوز بمراده دون أخيه وكان هابيل موفق الخطى موفور الحظ فتقبل قربانه دون أخيه لأنه لم يذعن لحكم أبيه ولم يخلص النية فى قربانه بعد ذلك غضب قابيل عند ضياع أمله وراح ضحية الحقد والأثرة فعمل على قتل أخيه وقال له لأقتلنك حتى لا أصاحبك شقيا وأنت سعيد . فقال هابيل لأخيه والألم يملأ قلبه كان أولى لك يا أخى أن تتعرف موضع الداء فتحسمه لأن الله تعالى لا يتقبل الا من المتقين .

وقد كان هابيل شديد الاشفاق على أخيه . وكان فى نفسه قوة مستمدة من الله تعالى فما يضيره تهديد أخيه المفتون ولكنه ترك المقادير تجرى فى اعنتها فقال : ﴿**لئن بسطت إلىَّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين**﴾ لم يعتبر قابيل بما صدر من أخيه من حكيم القول وغالى النصح فطوعت له نفسه قتله فأصبح من الخاسرين بهذا القتل العمد والعدوان الناشىء عن الحقد والحسد وعدم الرضا بالشريعة التى شرعها الله تعالى لأبناء آدم عليه السلام .

ولما قتل أخاه وحمله لم يدر كيف يوارى سوأته وناء بحمله . بعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه . حينئذ ندم على حمله وقال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين .

وقد اختلف العلماء فى كيفية قتله فقال بعضهم ضربه بحديدة فقتله ويرد على هذا بأن الحديد لم يكن معروفا فى الأزمان الماضية القديمة .

وقال آخرون رمى على رأسه صخرة وهو نائم فشدخته وقيل بل كان يخنقه ويعضه إلى أن مات .

ورأيت فى بعض الكتب أن ابليس تمثل لقابيل فأخذ حجرا كبيرا وألقاه على أخيه فقتله وهذا يقوى القول الثانى مع ما فيه من حرص ابليس على الانتقام من ذرية آدم وهو ما طلب من أجله الإنظار إلى يوم البعث وإليه أميل .

وبهذا القتل تحمل قابيل وزره ووزر كل قاتل إلى يوم القيامة لأنه سن سنة القتل ولم يكن يعرف القتل إلا منه .

وقد روى الامام أحمد بسنده إلى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل)** وقد ذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على هابيل حزنا شديدا حتى قال فيه شعرا منه :

تغيرت البلاد ومن عليها   فوجه الأرض مغبر قبيح
قتل قابيل هابيلا أخاه   فوا أسفاه للوجه الصبيح

وقول الشعر كلام غير مسلم لأنه نبي والشعر مزر بالعلماء فكيف الأنبياء .

بداية قصة آدم

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾

فى هذا الموضع من هذه الآية مسائل : كما فى القرطبى .

الأولى : اذ : معناها ظرف للزمن الماضى تأتى للتوقيت كاذا الا أن إذا ظرف للزمان المستقبل وقد يستعمل أحد الظرفين مكان الآخر فإذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا نحو قوله تعالى : **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾** **﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه﴾** معناه إذ مكروا واذ قلت .

وإن جاءت اذا مع الماضى كان معناه مستقبلا كقوله تعالى : **﴿فإذا جاءت الصاخة﴾** (١) **﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾** (٢) أى تجىء .

وإذ مبنية لشبهها بالحرف وضعا وافتقارا وتأتى بعدها الجملة الاسمية أو الفعلية . الاسمية نحو قوله تعالى : **﴿واذكروا اذ أنتم قليل﴾** (٣) والفعلية نحو قوله تعالى : **﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾** (٤) وهى ملازمة للظرفية ويستفاد الزمان منها بأن يكون ثانى جزئيها فعلا أو يكون مضمونها مشهورا بالوقوع فى الزمان المعين وذكر فى البحر أنها لا تقع مفعولا به أو حرف تعليل أو مفاجأة أو ظرف مكان أو زائدة وذكر العلامة الألوسى أن فى ذلك خلافا (٥) .

---

(١) آية ٣٣ من سورة عبس . (٢) آية ٣٤ من سورة النازعات .

(٣) آية ٢٦ من سورة الأنفال . (٤) آية ٧٤ من سورة الأعراف .

(٥) انظر فى ذلك القرطبى والألوسى عند تفسير الآية .

واختلف فى اعرابها هنا : فقيل زائدة ونسب هذا إلى أبى عبيد والتقدير وقال ربك وانكر هذا القول الزجاج والنحاس وجميع المفسرين قال النحاس وهذا خطأ لأن اذ اسم وهى ظرف زمان ليس مما تزاد وقد قيل أنها بمعنى قد وهى فى موضع رفع أى ابتداء خلقكم إذ . أو فى موضع نصب بمقدر أى ابتدأ خلقكم إذ أو أحياكم اذ . والأحسن أن تكون منصوبة بقالوا الآتى أى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها . فهى ظرف منصوب بقول الملائكة وقد قيل يحتمل أن تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره . واذكر اذ قال ولعل هذا هو الأحسن . حيث أنه عليه السلام هو المقصود بالأخبار[1] (ربك) ومن معانى الرب . المالك والسيد والمصلح والجابر وفى اضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة الرب . المالك والسيد والمصلح والجابر وفى اضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لطف ظاهر وفيه رمز إلى أن المقبل عليه بالخطاب له الفضل الأعظم ولولاه ما خلق آدم ولا غيره وقد استدل الألوسى بعد ذكر ذلك مرجحا ما ذهب إليه[2] .

الثانية : قوله تعالى (للملائكة) الملائكة جمع ملك . قال ابن

---

(١) القرطبى ص ٢٢٤ جـ ١ كتاب الشعب وأبى السعود ص ٧٩ .

(٢) الألوسى جـ ١ ص ٢١٨ والقرطبى وأبو السعود عند تفسير هذا الموضع من هذه الآية وقد روى الحاكم وصححه جـ ١ ص ٦١٥ والحافظ السيوطى فى الخصائص النبوية وصححه جـ ١ ص ٦ والبيهق فى دلائل النبوة وهو لا يروى الوضوعات ما يدل عليه هذا وفيه ولولا لآدم ما خلقتك والحديث أيضًا فى البداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص ٨١ .
وفى الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى جـ ١ ص ٢٣ .
وفى مفاهيم يجب أن تصحح ص ٤٦ لمحمد علوى المالكى .

كيسان وزنه فعل لأنه من الملك فالهمزة زائدة وقال أبوعبيدة أن وزنه مفعل من لاك إذا أرسل مصدر ميمى بمعنى المفعول أو اسم مكان على المبالغة وفى هذا الاشتقاق بعد ولم يشتهر لاك وكثر فى الاستعمال الكنى إليه أى أرسلنى . وقد اعتبره مهموز العين وأن أصله الاكنى فاصل ملك على هذا مالك الهمزة فاء الفعل فإنهم قلبوها إلى عينه فقالوا ملاك ثم سهلوه فقالوا ملك . والألوكة والمألكة الرسالة قال لبيد :

وغلام أرسلته أمه يألوك فبذلنا ما سال

وقال عدى ابن زيد كما فى اللسان مادة الك :

أبلغ النعمان عنى مالكًا إنه قد طال حبسى وانتظارى

وقيل أصله ملاك من ملك يملك نحو شمال من شمل فالهمزة زائدة وهو عن ابن كيسان وقد قال النضر بن شميل لا اشقاق للملك عند العرب والهاء فى الملائكة قيل للمبالغة كعلامة ونسابة والأحسن أن تكون لتأكيد تأنيث الجمع وانما كانت للتأكيد لا أصل التأنيث للفظ الملائكة كالظلمة لاعتبارهم التأنيث المعنوى فى كل جمع فهو بتأويل الجماعة .

قال الشاعر :

لا أبالى بجمعهم كل جمع مؤنث

وقد ورد بغير تاء فى الشعر قال :

أبا خالد صلت عليك الملائك

ثم من هم الملائكة المخاطبون بهذا القول ، فقيل كلهم أخذا من عموم اللفظ وقيل ملائكة الأرض لأن الموضوع الخلافة فى الأرض

وقيل إبليس ومن كان معه والملائكة أجسام لطيفة نورانية ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[1] .

الثالثة : قول الله تعالى : ﴿**إنى جاعل فى الأرض**﴾ .

وهى عبارة عن الحكمة فى خلق الخليفة وهو آدم عليه السلام ثم المادة التى خلق منها آدم عليه السلام مع بيان بطلان قول الأوربيين : (إن أصل الإنسان قرد ترقى . بعد بيان بطلان نظرية النشوء والارتقاء) .

أولاً : الحكمة فى خلق آدم عليه السلام

قال الحكماء : خلق الله الخلق ليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المحكمة وليشرفهم بعبادته فإنه تعالى يحب عباده العابدين وإن كان غنياً عن عبادة خلقه فلا تنقصه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه قال تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .**﴾[2]

وليظهر جوده وعدله قال تعالى : ﴿**وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾[3] .

وقال أبوالحسن القفال خلق الله الملائكة للقدرة والأشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال تعالى :

---

(١) انظر فى ذلك الطبرى والألوسى عند تفسير الآية .

(٢) من الآية ٥٦ إلى الآية ٥٨ ـ الذاريات . وقوله تعالى ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم**﴾ من آية ٦ التحريم وآية لا يستبقونه بالقول آية ٢٧ ـ الأنبياء .

(٣) آية ٤٣ سورة الأحزاب .

﴿**الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾ الآية ..

ومنهم من قال خلق الله الخلق لأجل محمد صلى الله عليه وسلم .

عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : **يا عيسى آمن بمحمد وأمر امتك أن يؤمنوا به . فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلاّ الله محمد رسول الله فسكن** .

وأقول عن هذا الحديث ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة . ثم قال : لا أصل له مرفوعاً . وإنما اخرجه الحاكم فى المستدرك .

(٢/٦١٤ ـ ٦١٥) عن طريق عمرو وبن أوس الأنصارى ثناء سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : فذكره مرفوعاً وقال صحيح الاسناد وتعقبه الذهبى بقوله : أظنه موضوعاً على سعيد . قلت يعنى ابن أبى عروبة والمتهم به الراوى عنه عمرو بن أوس الأنصارى ـ قال الذهبى فى الميزان .

«يجهل حاله ثم ساق له هذا الحديث وقال وأظنه موضوعاً ووافقه الحافظ بن حجر فى اللسان واقره» .

إنتهى ما ذكره الألبانى[1] نعود فنقول عن معنى جاعل .

فجاعل فى الأرض بمعنى خالق فى الأرض . ذكر ذلك الطبرى عن أبى زورق .

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانى حديث رقم ٢٨٠ المجلد الأول (ص ٢٩٧ ـ ص ٢٩٨) .

ويقتضى ذلك تعديها إلى مفعول واحد لأن الذى يتعدى إلى مفعولين جعل بمعنى اعتقد قال ابن مالك فى الخلاصة .

انصب بفعل القلب جزأى ابتدا

اعنى رأى خال علمت وجدا

ظن حسبت وزعمت مع عد

حجا درى وجعل اللذ كاعتقد

فأناط نصب المفعولين بجعل الذى كاعتقد .

فجاعل اسم فاعل من جعل بمعنى خلق ومفعوله خليفة وفى الأرض نعت لخليفة تقدم عليه فيعرب حالا من خليفة لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها انتصب على الحال منها فهو على حد قوله :

لمية موحشا طل   يلوح كأنه خلل

والأصل لمية طلل موحش .

والأرض قيل أنها أرض مكة لما روى ابن سابط عن النبى ﷺ قال : دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت أم القرى فعلى هذا آل فى الأرض للعهد الذهنى إذ لم يتقدم مصحوب العهد قبل ذلك والمعهود أرض مكة .

ثانياً : (المادة التى جعل منها آدم عليه الصلاة والسلام)

اخبرنا القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأن الله تعالى خلق آدم من طين قال تعالى فى سورة «ص» ﴿**إذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من طين**﴾ كما أخبر جل جلاله فى كتابه الكريم أيضاً انه خلق الانسان الأول من صلصال

من حمإٍ مسنون . فقال فى سورة الحجر : ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون**﴾ .

وقال تعالى أيضاً فى سورة الصافات : ﴿**أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب .**﴾ .

ومعنى هذه الآيات كما ذكره المفسرون أن الله كون هيكل آدم عليه السلام أولا من طين كما اخبر فى سورة «ص» وهذا الطين صالح لبناء الهيكل فهو لازب أى متماسك كما اخبر فى سورة الصافات ثم مضت مدة على هذا الطين بعد تصويره حتى أنتن فالحمأ الطين والمسنون المنتن ثم مضت مدة هذا الحمأ المسنون حتى صار صلصالا أى طيناً يابساً له صلصلة أى صوت حين يطرق كما يصوت الفخار . وهذا هو ما ذكره جل جلاله فى سورة الحجر وهذه هى الأطوار التى مرت بآدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه وبهذا يتبين أن المادة التى خلق منها آدم عليه السلام هى الطين .

وقد جاء فى صحيح الترمذى بالاسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير أول البقرة « **إن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب** » وقد قال الترمذى بعد روايته قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح وهذا الحديث يفسر أن أصل الانسان التراب الذى هو أصل الطين كما ذكر تعالى هذا فى قوله فى سورة الحج .

﴿**يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من**

تراب[1] ﴾ وهذا الذى ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم وحدثنا به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وهو أن آدم عليه السلام خلق من طين من تراب فذلك ما يؤيده الواقع ويقره العلم الحديث وتثبته التحاليل الكيماوية .

وقد قال ابن العربى فى شرح حديث الترمذى السابق فى الفائدة الأولى فى طبيعة خلق آدم وقد ذكرها الله فى كتابه فى عدة مواضع ووصفها كما فطرها فلا تطلبها من غيره ولا تزد فيها ولا تنقص منها فانها كلها تضليل واكثرها اباطيل .[2]

«معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم»
واعجاز للقرآن الكريم

فيما أومأت إليه آنفا من أن العلم الحديث والتحاليل الكيماوية توافق الآيات التى تذكر أن أصل آدم التراب والطين معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن هناك آنئذ علم حديث أو تحاليل كيماوية معروفة له صلى الله عليه وسلم أو لغيره وفيه أيضاً اعجاز للقرآن الكريم حيث أنه ذكر ذلك قبل أن يظهر العلم الحديث والتحاليل الكيماوية المختلفة بأكثر من ألف عام ويعجبنى ما ذكره الأستاذ البهى الخولى فى هذا المقام فى كتابه «آدم عليه السلام» ولنفاسته نذكره بنصه فيما يلى :

---

(١) آية ٥ من سورة الحج .

(٢) شرح الترمذى لابن العربى جـ ١١ ص ١٥ ، ص ١٦ . وقد ذكر ابن كثير فى قصص الأنبياء أن هذا الحديث رواه أحمد على أبى موسى وأبى داود وابن ماجه .

قال فى معرض الكلام عن خلق آدم عليه السلام :

عناصر الطين فى الانسان :

أما إنه خلقه من طين أو تراب فذلك ما يفيده الواقع ويقره العلم وتثبته التحاليل الكيماوية فلو انك أخذت قبضة من تراب الأرض الخصبة واجريت عليها عملية التحليل الكيماوى لوجدتها تتركب من ستة عشر عنصراً

ولو أخذت قطعة من جسم الانسان واجريت عليها التحليل لوجدتها كذلك تتركب من ستة عشر عنصراً هى نفس العناصر التى تتركب منها تربة الأرض وهذه العناصر هى ما يأتى بحسب نسبة وجودها فى جسم الانسان .

الاكسجين ٦٣,٠٣٪ الكربون ٢٠,٢٠٪ الأيدروجين ٩,٩٠٪ النتروجين ٣,٥٪ البوتاسيوم ١١٪ الكالسيوم ٢,٤٥٪ الفوسفور ٠١,٠١٪ الكلوز ٠,١٦٪ الكلور ٠٠,١٤٪ الكبريت ٠,١٤٪ الصوديوم ٠,١٠٪ المغنسيوم ٠,٠٧٪ الحديد ٠,٠١٪ واثار ضئيلة من كل من اليود والسيليكون والمنجنيز .

انتهى كلامه . وهذه النسبة الضئيلة لمجموع اليود والسيليكون والمنجنيز بعد جمع ما تقدم تساوى النسبة المئوية الآتية التى لا تصل إلى ٠,٥٪ وهى : ٠,٤٣٢٪ فهى ضئيلة جداً كما ذكر وهذا معنى الاعجاز والمعجزة لكلام الله ولرسول الله ﷺ .(١)

---

(١) انظر كتاب آدم عليه السلام « للبهى الخولى » .

«آدم عليه السلام ونظرية داروين»

بعد أن ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم أكثر من مرة فى سور متعددة انه خلق آدم عليه السلام من تراب وهذه الآيات فى كثرتها التى يتكرر مدلولها كلما تكررت يميل العقل عادة أن يكون المراد منها غير ما تدل عليه كما هو الحال فى التواتر. يدل على ذلك أن هذه الآيات قطعية الثبوت قطعية الدلالة لما أن مدلولها أمر عقلى لا يحتمل النقيض أى دليل عقلى قطعى وقد شاع اعتقاد هذا المدلول لهذه الآيات سلفا وخلقاً حتى كان اجماعياً.

وبعد أن تحدث صلى الله عليه وسلم بمدلول هذه الآيات فى احاديثه وهو الصادق المصدوق المعصوم من الكذب وبعد أن اثبت الواقع والعلم والتحاليل الكيماوية أن عناصر الانسان هى عناصر التراب سواء بسواء بعد هذا كله ظهر رأى فى البلاد الأوربية يقول لا خالق هذا الكون وإنما وجد بالطبيعة وأن أصل الانسان قرد ترقى وقد تزعم هذا الرأى وذب عنه داروين حتى عرف رأيه هذا بنظرية داروين يعتنقه الكثير من الأوربيين وغيرهم وصار له انصار يدافعون عنه وسأتكلم عن شبههم التى نتج منها أوهام علمهم ونظرياته وبالتالى نرد على هذه الشبه حتى تكون نظريتهم أوهى من بيت العنكبوت. وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت، لوكانوا يعلمون.

الشبهات الواردة على وجود الله تعالى ونقضها :

الشبهة الأولى : بنوا هذه الشبهة على ما يأتى :

١ ـ أولا يقول الداروينيون : ان علم التشريح المقارن

للحيوانات وعلم الأجنة وعلم الحفريات كلها تجمع على أن الكائنات متدرجة فى نموها من أصغر ذرة إلى الإنسان تدرجاً طبيعياً على حسب قانون الترقى وبقاء الأصلح . وهذا كله دليل على انها لا تحتاج لقدرة خالقة .

وقد ساقوا أدلة على أن الانسان متطور من جده القرد كما يزعمون .

وقالوا أولا لا يمكننا أن نفسر وجود تراكيب أثرية فى الانسان الا إذا آمنا بنظرية التطور . فمثلا عضلات الاذن فى الانسان لا فائدة فيها ولا وظيفة لها ولكنها تماثل العضلات الموجودة فى الحيوانات التى تحرك آذانها كالخيل لتلتقط الأصوات من الاتجاهات المختلفة .

وكذلك توجد فى الانسان فقار عصعصية فى نهاية عموده الفقرى وتشير إلى ذيل اختفى فى الانسان وان كان المشاهد وجود اطفال يولدون ولهم ذيل يستأصله الأطباء بعملية جراحية .

٢ ـ ثانياً : يقولون أن الجنين فى بطن امه يأخذ الأطوار التى كانت عليها الاسلاف فى الأزمنة الغابرة فإذا كان الانسان قد خلق خلقاً مستقلاً خاصاً به فلماذا نجد فى جنينه خياشيم وفتحات خيشومية يندفع فيها الدم من قلب يشبه قلب الاسماك . الا إذا كان يحكى لنا عن اسلافه ويعيد تاريخ نفسه .

مما يدل على أن التطور هو السبيل الذى سلكته هذه الحيوانات فى ظهورها وأنها والأسماك انحدرت من أصل واحد .

٣ ـ ثالثاً : ويقولون انهم بدراستهم الحفريات وجدوا أن أقدم

الطبقات تحتوى على حفريات الكائنات البسيطة التركيب وكلما كانت الطبقة أحدث كانت الكائنات التى تحتويها الحفريات أرقى وأقرب إلى الكائنات التى لا تزال حية حتى ظهرت ارقى الكائنات فى العصر الحالى .[1]

ملخص النظريات التى بنى عليها
مذهب داروين واتباعه»

قبل الانتهاء من ذكر شبههم اجمل نظرياتهم فيما يلى :

الحقيقة الأولى : تتولد الأحياء بنسبية هندسية بالتكاثر .

الحقيقة الثانية : مع هذا يميل عدد من الأفراد فى نوع أن يظل مع الزمن البعيد ثابتاً إلى حد ما .

وهم يستنتجون من الحقيقتين السابقتين ما يأتى :

التنافر بين الأفراد وبين الأنواع يقلل عدد الأفراد . «وهذا هو التنازع فى سبيل البقاء»

الحقيقة الثالثة :

يقولون أن جميع الأحياء تميل إلى أن تصير مختلفة اختلافاً يذكر وليس ثمة حيان متشابهان كل التشابه وبعضها مختلف اختلافاً بيناً حتى ولو كانا من نوع واحد . ومع أن هذه الاختلافات ليست جميعاً مما يورث فإن تجارب التربة تدل على أن بعضها يورث

(١) انظر فيما تقدم « التفسير الموضوعى » لفضيلة الشيخ السماحى عند تفسير آيات خلق الإنسان .

واستنتجوا من هذه الحقائق : بناء على أن هناك تنازعاً فى سبيل البقاء وأن الأفراد ليست جميعها متشابهة فإن بعض وجوه الاختلاف تدوم لأنها تمنح صاحبها شيئاً من التفوق أما الضروب الضعيفة فتبيد وتفنى .

وهذا هو الانتخاب الطبيعى .

النتيجة لكل ما سبق إذاً :

الانتخاب الطبيعى ـ يستمر ماضياً من جيل إلى جيل فتجتمع فروق قليلة تكون كثيرة فى مجموعها وهذا هو التطور .

هذه هى النظرية المادية فى تكوين الأشياء وتدرجها لا تخضع إلّا لقانون التطور القائم على «تنازع البقاء والانتخاب الطبيعى» .

الشبهة الثانية :

النواميس الطبيعية ثابتة لا تحتاج إلى خالق .

مرجع هذه الشبهة :

١ ـ يقول الدكتور بختر الألمانى : لا يمكن أن يتصور أحد أن تتفق حكمة أزلية مع نواميس طبيعية ثابتة فإما أن تكون النواميس هى الحاكمة وإما الحكمة الأزلية فإن كانت الحكمة الأزلية هى الحاكمة فلا لزوم للقوانين الطبيعية وإن كان العكس فإن ذلك ينفى كل تدخل سماوى .

وقال إنه لم يشاهد أبداً حتى فى أبعد مدى فى الفضاء الذى يمكن أن يشاهد بالتليسكوب حادثة شاذة عن نظام النواميس فيها يمكن القول بوجود قوة مطلقة لها التأثير على الكائنات مع تميزها

عنها .

٢ ـ ويقول هوتشن كثل : كل ما فى الوجود من أول ذرة الهباء إلى عقل الانسان محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير وبناء عليه فلا صانع للوجود .

الشبهة الثالثة :

وجود الشذوذ فى الطبيعة دليل على عدم وجود الخالق .

يقول جبيل : إن الأستاذ فوغت شاهد وجود حيوانات خنثى لها أعضاء تناسل الجنسين معاً لا يستطيع الفرد منها أن يلقح نفسه فلأى حكمة وجد هذا التركيب . إن هذا دليل على عدم الحكمة الأزلية . وأيضاً توجد الزائدة الدودية التى يعمل الانسان على استئصالها لما يعانيه من ضررها .

الشبهة الرابعة :

وجود الأشياء ثابت ولا دليل على وجود الخالق .

يقول ليتريه : لما كنا نجهل أصول الكائنات وبصائرها فلا يليق بنا أن ننكر وجود شىء سابق عليها أو لاحق لها كما لا يليق بنا أن نثبت ذلك بمعنى أننا إن لم نذكر وجود الحكمة الالهية فلا نتعرض لاثباتها فنحن على الحياد التام بين النفى والاثبات . وهذا موقف سلبى لا يكفى فى العقائد .

٢ ـ ثم يأتى بعد هذا الفيلسوف العصرى صاحب كتاب الله والانسان ـ فيقول «كل شىء فى الدنيا له سبب الباب يصفق لأن الريح تهب والريح تهب لأن هناك تخلخلاً فى طبقات الجو لاختلاف

درجات الحرارة فى الهواء كل شىء سبب لما بعده ونتيجة لما قبله ثم قال : إن قانون السببية يغمر حياتنا الحسية المحدودة فقط ولكنه لا ينطبق على الكون ككل فالوجود موجود والعدم معدوم ولا حاجة لهذا الكون إلى خالق مبدع . أى إن الوجود ممتد إلى الأبد والأزل ولم يكن منعدماً فى أى وقت حتى نسأل من الذى خلقه .[1]

«الرد على هذه الشبهة»

بالنظر فى هذه الشبهة وبالنظر فى أدلة القرآن الكريم نجد القرآن الكريم الهم هؤلاء الدليل الواضح الذى لا يعتريه شبهة .

لقد اعتمد هؤلاء كما هو ظاهر على أن العالم متدرج فى الخلق طورًا بعد طور جامده ونباته وحيوانه يتحكم فيه قانون الأسباب والمسببات والعلل والعلولات وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة لخالق مبدع .

فإذا قلت لهم ما سبب وجود هذا العالم قالوا إنه لا يحتاج إلى سبب يوجده فهو وجود بالذات والأصل هو الوجود والعدم والعدم محال . فإذا جاء آخرون وقالوا إن هذا العالم لو كان من صنع إله مبدع حكيم لما وجد فيه شىء من غير حكمة وقد وجدت أمثلة كثيرة لم نجد لها من حكمة أصلاً .

وهذا دليل على عدم وجود القدرة الحاكمة .

إذا قالوا ذلك نجد تضارب النظريتين واختلافهما .

ذلك لأن الأولين عندهم وجود النظام والابداع هو دليل

---

(١) المرجع السابق نفسه وانظر كتاب «فلسفة النشوء والارتقاء» للدكتور شبلى شميل .

الاستغناء عن وجود الخالق . أما الآخرون فإن الشذوذ فى الطبيعة وعدم الحكمة فى بعض أفرادها دليل عدم وجود الخالق .

فإذا قلت للأولين إن القوانين الماردة الموجودة تحتاج إلى مقنن أخذ بناصيتها وقلت للآخرين إنكم لم تحيطوا بكل حكمة ارادها الخالق وجم هؤلاء وهؤلاء .

ونقول للفريق الثالث الذى لا يتعرض لنفى الخالق ولا لاثباته كما هو شأن المذهب الحسى لهؤلاء والذى يتحفظ كل التحفظ فى الحكم على ما ليس بمحسوس لاقراره بجهله المطلق فى هذا الشأن .

كما نقول للفريق الرابع الذى يقول أن الوجود موجود أزلاً فلا حاجة لخالق يوجده ويدبره بل لكل فريق منهم نقول لهؤلاء جميعاً بتأنٍّ : اما وصل عقلكم مع تقدمكم الفكرى كما تدعون ومع ما أنتم عليه من البحث والدراسة ونضوج الفكر إلى ما وصل إليه رجل البادية العربى حين سئل عن دليل لوجود الله فقال :

«البعرة تدل على البعير وأقدام السير تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدل على السميع البصير» ..

ولو سألت هؤلاء جميعاً : (أيجوز فى العقل أن تكون هنالك سفينة محملة بالأثقال مليئة بالرمال فى يم متلاطم الأمواج وظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وهى تحيط بها العواصف والرياح والقواصف تجرى فى اتجاهها لا تلعب بها الأمواج ولا تغير اتجاهها الرياح بدون بحار يقودها ويحفظ اتجاهها ثم هى لا تزال كذلك مادامت فى مسيرها لا يختل نظامها حتى تصل إلى نهاية جريانها .

لو سألت هؤلاء جميعاً هذا السؤال لأجابوا جميعاً :

«أن هذا ليس بمعقول ولا يمكن أن يكون» .

وإذا انكروا سير السفينة بدون بحار يقودها مع سلامتها من العطب فلم لم ينكروا هذا الانكار بالنسبة لهذا العالم الفسيح مع ما فيه من عوالم خختلفة لا حصر لها ومع تعقيده البالغ وبذا يثبتون الخالق المدبر لهذا لكون كما يقول به المسلمون .

﴿**ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم .**﴾[1]

وهذا هو القرآن الكريم فى اسلوب سهل واضح يقول : ﴿**قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**﴾[2] ليلفت نظر العقل البشرى إلى أنه لابد للعالم مع وجود الأسباب والمسببات من قدرة قاهرة هي السبب الأول الذى يخالف كل الأسباب المخلوقة له .

فمثلاً : الانسان مخلوق من ذكر وانثى والذكر والانثى متوقف على تلاقى الخلية الذكرية بالبويضة الأنثوية وكلاهما متوقف على الذكر والانثى وهكذا .

وإذا توقفت العلة على معلولها فى سلسلة وجودية حددها الزمن إذ لابد لها من علة أولية ناشئة من طبيعة غير الطبيعة القائمة .

إذن لابد من تدخل قدرة قادرة حولت الطبيعة من وضعها الأول إلى وضعها الحالى وهكذا كل شيء فى الحياة .

---

(١) آية ٦٥ سورة الحج .

(٢) آية ٢٠ من سورة العنكبوت .

فوجود الحياة نفسها فى النبات والحيوان حالة كونها ناشئة من عناصر لا حياة فيها دليل أكبر دليل على تدخل قادر حى وهبها طبيعة غير طبيعتها الأولى :

ولو نظرت إلى العناصر نفسها لوجدتها مكونة من الذرات ولوجدت الذرات مكونة هى كذلك من الالكترون والبرتون وغيرها ولوجدتها مفتقرة إلى مكون لها آخذ بناصيتها فالتعبير القرآنى من عربى أمى لم يبلغ علمه من الاكتشافات مبلغ علمنا اليوم دليل قاطع على انه من عالم الغيب والشهادة الحكيم الخبير.

ثم انظر إلى القرآن يشير إلى أن الانسان مخلوق لابد له من خالق وان السموات والأرض يستحيل أن تكونا مخلوقتين إلّا لله جل جلاله ﴿**أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون**﴾ [1]

وإليك بعض الآيات من هذا القبيل . قال تعالى :

﴿**ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾ [2] ﴿**فلينظر الانسان ممَّ خلق**﴾ [3] ﴿**إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج**﴾ [4] . الآيات ﴿**أفرأيتم ما تمنون**﴾ [5] الآيات بعد هذه الآيات .

أراد هؤلاء أن يعللوا اشتقاق الأنواع من أصولها من غير قدرة فعللوها بآثار البيئة والانتخاب الطبيعى وتنازع البقاء وسمو التطور .

---

(١) الآيات ٣٥ ، ٣٦ من سورة الطور . (٢) آية ٤٩ من سورة الذاريات .
(٣) آية ٥ من سورة الطارق . (٤) آية ٢ من سورة الإنسان .
(٥) الآيات من ٥٨ إلى ٧٢ من سورة الواقعة .

لكن نظام الوراثة فى الأنواع وقف فى طريقهم وانهارت كل تعللاتهم أمام العلم نفسه وكأن القرآن الكريم لم ينزل فى بيئة عربية فى وسط الصحراء وإنما نزل بعد أن استوفى هؤلاء بحوثهم ليردهم على أعقابهم ويقرر لهم العلم بعد دراستهم له .

أليس ذلك وحده دليلاً على أنه منزل من العليم الخبير الذى دبر الأشياء وخلقها . إن التشابه الذى اعتمدوا عليه والتطور فى الجنين وعلم الحفريات والتشريح كل ذلك يوافق القرآن ولا يناقضه إذ كان المدبر هو الله وحده ﴿**ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت**﴾ [1]

فالله هو الخالق على وفق علمه وحكمته والسنن التى أودعها فى أرضه وسمائه .

ووجود هذه السنن مخالفة التأثيرات الطبيعية التى يقولون بها دليل كبير على ابطال دعواهم . والا فكيف تنتقل الحشرة من دودة إلى شرنقة إلى فراشة طائرة .

ثم انظر أيضاً كيف يتكون الجنين فى بطن أمه فى ظلمات ثلاث لا ينفذ منها النور ولا الصوت ولا الاحساس بما فى الوجود يتكون فى صورة خاصة صالحة له بطبائع خاصة وغرائز خاصة ﴿**هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء**﴾ .

ثم بعد هذا كله استراب علماء هذا المذهب المادى انفسهم فى نظرية النشوء والارتقاء وعارضوها بأمثلة من واقع الحياة كما يتضح فيما يلى :

---

(١) آية ٣ من سورة الملك .

«استرابة علماء النشوء والارتقاء ومعارضتهم لنظريتهم»

لقد استراب علماء النشوء والارتقاء فى نظريتهم وإليك ما يدل على ذلك من كلامهم :

١ ـ باستور سأله سائل : «كيف يا دكتور نستطيع أن نوفق بين استكشافاتك العلمية والتعاليم الدينية » ؟ .

فأجاب أعلم بأن دروسى بدلاً من أن تزعزع اعتقادى جعلتنى فى إيمانى كالفلاح البريطانى (مثل يضرب لشدة الاستمساك) وباستور هذا صاحب كتاب (التجارب فى الاختبار) .

٢ ـ هارفى : مستكشف دوران الدم فى البدن : ما شرحت حيواناً إلّا وجدت فيه شيئاً جديداً وأدلة جديدة على العناية الإلهية .

٣ ـ الأستاذ : جولين «يقول أن مذهب لامارك ومذهب داروين يستويان فى القصور لأنهما لا يقران التحول من الحياة المائية إلى الأرضية ولا بالتحول من الحياة الأرضية إلى الحياة الهوائية قال فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصور أن يناسب البيئة التى ليست له أو لا يمكن أن تكون له إلّا بعد أن يتحول إلى عصفور .

أما مسألة الحشرة فهى أشد استحالة من ذلك فليس هناك علاقة من جهة علم الحياة بين الدودة وبين الحشرة الكاملة التى تنقلب إليها لأن الدودة اعتادت الحياة فى الماء وتحت الأرض فكيف تصل بالتدريج إلى إيجاد أجنحة لجسمها تصلح للطير فى الهواء للمعيشة فى البيئة الهوائية التى كانت مجهولة لها وبعيدة عنها . سبحانك هذا بهتان عظيم . وتبارك الله أحسن الخالقين .

«الرد على الشبهة القائلة إن أصل الانسان قرد ترقى»

هذه الشبهة فى تكوين الإنسان يزعم صاحبها أن الانسان متدرج من فصيلة الحيوانات الفقرية بدليل ما فيه من أعضاء أثرية وبالخصوص من القرد الراقى بدليل التشابه الكبير بينه وبين القرد حتى قال بعض الناس إن الدم الذى يجرى فى عروق الانسان رغماً عن مخالفته لدم القردة المنحطة فإنه يشبه إلى حد كبير دم النوع الراقى منها ولذا حكموا أنه متسلسل من الأصل الراقى من القردة والرد على هذه الشبهة . إن كل ما قالوه ليس فيه دليل واحد يحتم النتائج التى وصلوا إليها إنما هى ظنون واحتمالات لا تعارض القطعيات .

فإذا أخبر خالق الكون وقال إنى خلقت الانسان على وضع كذا وثبت قوله بالدليل القطعى الذى لا مرية فيه وحسب قبول قوله لأن المسألة سماعية وليست عقلية وهذا التشابه فى الشعر والدم والخلايا والأعضاء متى ثبت انه من خالق واحد مبدع فإنه يدل على أن الخالق خلقها على طريقته الخاصة به والتى أرادها حسب الحكمة الالهية . فسبحانه هو الخالق البارىء المصور .

يقول هؤلاء أن الأعضاء الصوتية فى القردة الراقية تشبه الأعضاء الصوتية فى الانسان لولا أن كيسين غشائيين قائمين إلى جانب حنجرة القرد يعترضانه إذا أراد الكلام .

لكن إذا كان الأمر كذلك وقد تقدم الطب حتى وصل إلى نقل قلب الميت إلى مكان القلب الذى لصاحب القلب المريض ومثل القلب غيره من بقية الأعضاء فلم لا يعمل هؤلاء عملية جراحية

للقردة تزيل هذين الكيسين حتى تصبح القردة أناساً تتكلم .

إن ملكة الكلام قائمة بالنفس الانسانية أولاً ثم بالتعبير عنها بحركة اللسان ثانياً ومهما كانت قدرة الحيوان من الذكاء فإنها محدودة بطبيعة غدده المخية ولا يمكن أن يصل إلى ذكاء الانسان الذى أخذ يغزو الفضاء ويرتاد الكواكب . وأخيراً نذكرهم بما قاله الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ .

يقول سبورن فى هذا المجال : «بين جميع الأشياء التى لا يمكن ادراكها فى الكون يقف الانسان فى الطليعة وبين الأشياء التى لا يمكن ادراكها فى الانسان تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ وذكاء وذاكرة وآمال وقوة كشف وبحث وقدرة على تذليل العقبات .

ونقول أيضاً لأصحاب النشوء والارتقاء أن النشوء والارتقاء لو كانا كفيلين مع طول الزمن بارتقاء القرد إلى إنسان لما وجد اليوم على وجه الأرض قرد راق أو منحط لأن الزمن الذى مضى من بدء الخلية كفيل بهذا وأزيد بكثير من هذا حتى لو فرض أن هناك كائناً حساساً أرقى من الانسان لكان الزمن كفيلاً بالوصول إليه كما يقولون .

لقد استعملوا الظن والعقل مع النص وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً :

يا رب أيدنى بفضلك واكفنى

شطط العقول وفتنة الأفكار

الكلام فى الخليفة ووجوب نصبه

هذا وبعد الاتيان على هذه الشبهة ودحض هذه الحجج الواهية وابطال هذه النظريات الكاذبة المبنية على الظنون والاحتمالات التى لا تعارض القطعيات واثبات أن هذا الكون لا يصدر من نفسه بل لابد له من خالق ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وإن هذا الخالق الحكيم هو الذى خلق الانسان الأول من تراب على طريقته الخاصة التى أرادها وعلى الصورة التى هو عليها منذ خلق آدم عليه السلام وعلى الطريقة التى ذكرها سبحانه فى قوله تعالى : ﴿**لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم**﴾[1] . بعد هذا نعود إلى تفسير قوله تعالى ﴿**خليفة**﴾ من قوله جل جلاله ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ فى هذا الموضع مسائل :

الأولى : فى معنى خليفة : والخليفة من يخلف غيره فهو بمعنى فاعل أى يخلف من كان قبله من الملائكة أو غيرهم كما روى ويجوز أن يكون بمعنى مفعول أى مخلف كما يقال ذبيحة بمعنى مذبوحة .

والهاء فى خليفة للمبالغة لا للتأنيث ولذلك يطلق على المذكر والمؤنث والخلف بالتحريك من الصالحين وبتسكينها من الطالحين ومنه قول النظار هذا خلف أى باطل . ومن الأول قولهم فى المدح والثناء خير خلف لخير سلف .

وقول الله تعالى للملائكة : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ اخبار بامتنانه على بنى آدم وتنويه بذكرهم فى الملأ الأعلى قبل

---

(١) آية ٤ من سورة التين .

وجودهم وتعليم للمشورة لكنها مستحيلة عليه تعالى وقد خاطبهم بذلك لاستخراج ما فيهم من رؤية التسبيح والتقديس والعبادة ثم ردهم إلى قيمتهم فقال ﴿**اسجدوا لآدم**﴾ وقد قرىء خليقة وهى قراءة زيد بن على والمعنى بالخليقة والخليقة هنا فى قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام .

فقد كان خليفة الله تعالى فى امضاء أحكامه وأوامره وخالف ابن كثير القرطبى فقال : ليس المراد بالخليفة آدم عليه السلام وجده .[1]

الثانية : فى وجوب نصب الخليفة : لا خلاف بين الأئمة ولا بين الأمة فى وجوب نصب الخليفة لتنفيذ أوامر الله تعالى واقامة حدوده بدليل هذه الآية وآية ص ﴿**ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض**﴾ وآية (النور) ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض**﴾ أى يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآيات هذا وقد أجمع الصحابة على تقديم أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم اجمعين بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار فى سقيفة بنى ساعدة فى التعيين حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير . فدفعهم أبوبكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم إن العرب لا تدين إلّا لهذا الحى من قريش ورووا لهم الخبر فى ذلك وهو (الأئمة من قريش) فرجعوا وأطاعوا فلو كانت الامامة غير واجبة لا فى قريش ولا فى غيرهم لما ساغت هذه المناظرة

---

(١) انظر ابن كثير والقرطبى عن تفسير الآية .

والمحاورة عليها ولقال قائل إنها ليست بواجبة لا فى قريش ولا فى غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة فى أمر ليس بواجب .

ثم ان الصديق رضى الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر فى الخلافة ولم يعارضه معارض فدل هذا على وجوبها وأنها ركن من أركان الدين لا يصلح أمر المسلمين إلّا به وهو مذهب الخلف والسلف من أهل السنة ولم يخالف فى ذلك إلّا الأصم حيث كان عن الشريعة أصم وكذلك كل من قال بقوله واتبعه فقد قال إنها غير واجبة بل يسوغ ذلك وأن الأمة متى أقامت حجها وجهادها وتناصفت فيما بينها وأقامت الحدود على من وجبت عليه كفاها هذا ولا يجب عليها نصب امام يتولى ذلك .

وقد خالفت الرافضة فى أن آيات الخلافة أصل فى نصب الامام وقالت نصب الامام واجب عقلاً وأن السمع ورد مؤكدا لقضية العقل واما معرفة الامام بعينه فذلك طريقه السمع دون العقل .

وهذا خلف لأن العقل ليس مصدراً للأحكام فهو لا يوجب ولا يحظر ولا يحسن ولا يقبح وإذا كان الأمر كذلك ثبت أنها واجبة من جهة الشرع وأن الشرع أصل لا من جهة العقل كما يقولون .

والثالثة : فى الطريق الذى يعرف به الامام : وقد اختلف فى هذا فذهبت الإمامية وغيرها إلى أن الطريق فى هذا هو النص من الرسول عليه السلام ولا مدخل للاختيار فيه .

وعند أهل السنة النظر طريق إلى معرفة الامام . والذين قالوا

---

(١) انظر القرطبى ص ٢٢٦ كتاب الشعب .

بالنص بنوا هذا القول على أصلهم الفاسد وهو أن الرأى والقياس والاجتهاد باطل لا يعرف به شىء أصلاً .

وقد اختلف هؤلاء فيما بينهم على ثلاث فرق .

فرقة تدعى النص على أبى بكر . واخرى تدعى النص على العباس . وثالثة تدعى النص على علىٍّ رضى الله عنه وعن أبى بكر والعباس وسائر صحابة رسول الله ﷺ .

«الدليل على فقد النص على إمام بعينه»

الدليل على ذلك هو انه ﷺ لو فرض على الأمة طاعة امام بعينه بحيث لا يجوز العدول عنه إلى خلافه لعلم ذلك لاستحالة تكليف الأمة طاعة الله تعالى فى غير امام معين حينئذ .

وإذا وجب العلم به لم يخل ذلك العلم من أن يكون مصدره أدلة العقول أو الخبر . وليس فى العقول ما يدل على ثبوت الامامة لشخص بعينه وليس فى الخبر هذا أيضاً لأن الخبر إما أن يكون متواترا يوجب العلم الضرورى وإما أن يكون من أخبار الاحاد .

ولا يجوز أن يكون طريقه التواتر الموجب للعلم ضرورة إذ لو كان كذلك لكان كل مكلف يعلم ضرورة وجوب الطاعة لذلك المعين وأن ذلك من دين الله عليه كما يعلم علماً ضرورياً وجوب خمس صلوات وصوم رمضان وحج البيت وغير ذلك من الضروريات كحرمة الزنا والقتل وعقوق الوالدين وليس هناك أحد يعلم ذلك من نفسه ضرورة فبطلت هذه الدعوى وبطل أن يكون الامام معلوماً بأخبار الاحاد لاستحالة وقوع العلم بها ونقول للإمامية ومن وافقهم

أيضاً لو وجب المصير إلى نقل النص على الامام بأى وجه كان وجب اثبات امامة أبى بكر والعباس لأن لكل منهما قوماً ينقلون النص صريحاً فى امامته وإذا بطل اثبات الثلاثة بالنص فى وقت واحد بطل كذلك اثبات الواحد وإلّا كان هناك ترجيح . يرون مرجح وإذا بطل ثبوت النص لعدم الطريق الموصل إليه ثبت الاختيار والاجتهاد .

الرابعة : «رد ما احتج به الامامية فى النص على الامام على رضى الله عنه

مما احتجوا به قوله ﷺ « **من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**» :

وقد قالوا ان المولى فى اللغة بمعنى أولى ويفيد مع فاء التعقيب أن المراد بمولى أنه أحق وأولى وأنه ﷺ أراد بذلك الامامة .

ومما احتجوا به قوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه (**أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبى بعدى**) ومنزلة هارون من موسى معروفة وليس المراد بالمنزلة النبوة لأنها لم تكن لعلى أو الأخوة النسبية لأنها لم تكن لعلى أيضاً فعلم أن المراد بالمنزلة التى يشارك فيها هارون هى الخلافة حيث كان خليفة لموسى عليه السلام .

وذكر فى اتحاف ذوى النجابة أن هذا الحديث أخرجه الشيخان عن سعد بن أبى وقاص وأحمد والبزار عن أبى سعيد الخدرى والطبرانى عن أسماء بنت عمير وأم سلمة وآخرين .

ويجاب عن الحديث الأول أنه ليس بمتواتر وقد اختلف فى صحته بل قد طعن فيه أبو داوود السجستانى وأبوحاتم الرازى واستدلا على بطلانه بأنه ﷺ قال : **(مزينة وجهينة وغفار واسلم موالى دون الناس كلهم ليس لهم مولى دون الله ورسوله)** فلوكان قد قال حديث الامامية لكان أحد الحديثين كذباً . وقال عنه ابن تيمية انه حديث موضوع وقال عنه ابن حزم لا يصبح . وهذا [1] الحديث أخرجه الامام أحمد والترمذى والنسائى والطبرانى والضياء المقدسى فى المختارة كما فى إتحاف ذوى النجابة [2] .

ويجاب أيضاً على فرض صحته بأنه ليس فيه ما يدل على الامامة وإنما يدل على فضيلة علىّ رضى الله عنه وذلك لأن المولى بمعنى الولى فمعنى الحديث من كنت وليه فعلى وليه . قال تعالى ﴿**فإن الله هو مولاه**﴾ أى وليه وكان المقصود أن يعلم الناس أن ظاهر علىّ كباطنه وتلك فضيلة عظيمة لعلىّ رضى الله عنه .

ويجاب كذلك على هذا الحديث بأنه ورد على سبب وذلك أن أسامة وعلياً اختصما فقال على لأسامة أنت مولاى فقال لست مولاك بل أنا مولى رسول الله ﷺ فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : **«من كنت مولاه فعلى مولاه»** .

إليك جواباً رابعاً : وهو أن علياً رضى الله عنه قال للنبى ﷺ

---

(١) انظر القرطبى والعواصم القرطبى ص ٢٢٨ العواصم س ١٩٦ .

(٢) انظر إتحاف ذوى النجابة بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة لمحمد العربى السطيفى المغربى المدرس بمدرسة الفلاح والحرم المكى الشريف ص ٢٤٣ وص ١٤٤ .

فى حادث الإفك فى شأن عائشة رضى الله عنها : النساء غيرها كثير فآلمها ذلك وشق عليها فطعن المنافقون فى على رضى الله عنهم وتبرأوا منه فقال النبى ﷺ هذا دفاعاً عن على وتكذيباً للمنافقين فيما اقدموا عليه من الطعن والبراءة من على رضى الله عنه . وقد روى عن جماعة من الصحابة انهم قالوا «ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضهم لعلى رضى الله عنه» .

وبناء على الطعن فى الحديث بالوضع والحكم بعدم صحته وبتطرق الاحتمال إليه على فرص صحته لا ينهض دليلاً للشيعة لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال كما هو مقرر . واما الحديث الثانى فيجاب عنه بأن النبى ﷺ لم يرد بمنزلة هارون من موسى للخلافة بعده لأن هارون مات قبل موسى عليهما السلام ولم يكن خليفة بعده وإنما خليفته يوشع بن نون فلو أراد الخلافة من المنزلة لقال «أنت منى بمنزلة يوشع بن نون» ولما لم يقل هذا دل على عدم ارادة الخلافة وإنما أراد أنت خليفتى على أهل بيتى فى حياتى وغيبوبتى عن أهلى كما كان هارون خليفة موسى على قومه حينما خرج لمناجاة ربه وأخذ الألواح .

هذا وقد قيل أن الحديث خرج على سبب وذلك أن النبى ﷺ لما خلف علياً فى غزوة تبوك على أهله بالمدينة قال المنافقون ما خلفه إلّا بغضاً وقلى له فلحق على رضى الله عنه برسول الله ﷺ وقال إن المنافقين قالوا كذا وكذا فقال «**كذبوا بل خلفتك كما خلف موسى هارون**» وقال «**أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى**» .

وإذا ثبت أن المراد من الحديث الاستخلاف كما زعموا فقد

شارك علياً فى هذا غيره لأن النبى كان يستخلف أحد أصحابه فى كل غزوة غزاها . وقد ثبت أنه استخلف ابن أم مكتوم . ومحمد بن مسلمة . وروى ما يقابل هذا الحديث لأبى بكر وعمر . فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : «**أبوبكر وعمر بمنزلة هارون من موسى**» ويزيد هذا الخبر انه ورد ابتداء وخبر عليٍّ ورد على سبب وبهذا يكون أبوبكر .[1] أولى من على رضى الله عنهما بالإمة[2] . وقال ابن العربى[3] وقد اجتمعت الأمة على أن النبى ﷺ ما نص على أحد يكون بعده .

ومما يذكر فى هذا المقام بعد هذا كله أنه قال بالنص طريقاً لمعرفة الامام الحنبلية وبعض أهل الحديث والحسن البصرى وطائفة من الخوارج . وذلك أن النبى ﷺ نص على أبى بكر بالاشارة وأبابكر قد نص على عمر ونص عمر على ستة وعهد إليهم باختيار واحد منهم .

هذا ومن الطرق الموصلة إلى الامام اجماع أهل الحل والعقد . ومنها أيضاً تغلب من له أهلية الامامة على الامامة وأخذها بالقوة وبهذا الطريق تكون الطرق أربعة وبالطريق الأخير قال سهل بن عبدالله التسترى وابن خويز منداد . كذا فى القرطبى .

المغزى من قول الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾

الظاهر انه لم يرد بالخليفة آدم عليه السلام وإلّا لما حسن قول

---

(١) وروى البخارى فى باب فضل أبو بكر عنه عليه الصلاة والسلام من حديث ابن أبى عباس «**لوكنت متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحبى**» .

(٢) القرطبى ص ٣٣٩ . (٣) العواصم من القواصم لابن العربى ص ١٨٥ .

الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها .. الخ .. فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم قالوا ذلك بعلم خاص أو بفهم للطبيعة البشرية أو بفهمهم لمنصب الخليفة أو قالوا ذلك قياساً على من سبق وقد قيل انهم قالوا ذلك بناء على ما رأوه من اللوح المحفوظ واحسن من هذا كله ما قيل من أنهم قالوا ذلك بناء على اخبار من الله تعالى .[1]

قال الشهاب فى حاشيته على البيضاوى[2] وإنما عرفوا ذلك اشارة إلى ما روى عن السدى رحمه الله تعالى «إن الله تعالى لما قال لهم ذلك قالوا وما يكون من ذلك الخليفة قال : يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويقتل بعضهم بعضا » .. وهذا أسلم الوجوه ولذلك قدمه فإن اطلاعهم على اللوح يرد عليه أن فى اللوح أيضاً شرف بنى آدم وحكمة خلقهم فلو أخذوه منه لم يبق لهم شبهة وان كان مدفوعاً بأن الله منعهم من النظر إلى جميع ما فيه فإنهم لا يفعلون إلّا ما يؤمرون . وقد ذكر أن الاستنباط لا يقطع عرق الشبهة لأن ما ركز فى عقولهم إما أن يكون مصدره اخبار الله تعالى أو النظر فى اللوح وهذا يؤول إلى الأولى وإن كان مصدره العلم الضرورى بأن لا يعصم أحد سواهم فهو خلاف الواقع أو نوعا مطلقاً وان عصم بعض افراده كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو المراد ، لكن لا يلائم قوله لا علم لنا إلّا ما علمتنا مع أن غاية ما يلزم من علمهم باختصاص العصمة يتم علمهم بصدور الذنب المطلق لا خصوصية

---

(١) انظر ابن كثير .

(٢) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى .

الفساد وسفك الدماء والمطلوب هذا دون ذلك . إلّا أن يقال وجه الاستنباط من أنهم علموا عصمتهم ورأوا تأليف الانسان يقتضى القوة الشهوية والغضبية المستلزمة للفساد وسفك الدماء ...[١]

وقول الملائكة هذا ليس غيبة ولا اعتراضاً ولا حسداً لبنى آدم كما قد يتوهم لأنهم معصومون . وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسقونه بالقول وهم بأمره يعملون . وهم لم يقولوا ذلك الا بعد أن أعلمهم الله أنهم يفسدون فى الأرض .

وغرضهم من هذا القول ازالة ما عندهم من شبهة أو التعجب من استخلاف من يفسد لمعرفة الحكمة من الاستخلاف .

وقيل أنهم استفهموا بحذف المعادل أى أتجعل فيها من يفسد أم تجعل من لا يفسد .

وعلى كل فليست الهمزة للانكار كما زعمته الحشوية مستدلين بالآية على عدم عصمة الملائكة لاعتراضهم على الله تعالى وطعنهم فى بنى آدم[٢] .

قال العلامة الألوسى فى تفسيره .[٣] ومن العجب أن مولانا الشعرانى وهو من أكابر أهل السنة بل من مشايخ أهل الله تعالى نقل عن شيخه الخواص أنه خص العصمة بملائكة السماء معللاً بأنهم عقول مجردة بلا منازع ولا شهوة وقال إن الملائكة الأرضية غير معصومين ولذلك وقع ابليس فيها وقع إذ كان من ملائكة الأرض الساكنين بجبل الياقوت بالشرق عند خط الاستواء فعليه

---

(١) انظر حاشية الشهاب على البيضاوى .
(٢) انظر الألوسى عند تفسير الآية . (٣) انظر الألوسى ص ٢٢١ جـ ١ .

لا يبعد الاعتراض ممن كان فى الأرض والعياذ بالله تعالى ويستأنس له بما ورد فى بعض الأخبار أن القائلين كانوا عشرة آلاف فنزلت عليهم نار وأحرقتهم وعندى أن ذلك غير صحيح .

وأقول لعل هذا مدسوس على الشعرانى من حاسديه فقد ذكر فى كتابه الميزان . أن بعض حاسديه دسوا عليه كثيراً من مثل هذا . وكان يدفع هذا المدسوس بأصل مؤلفه الذى يحتفظ به .

وقيل أن القائل إبليس وقد كان حينذاك معدوداً فى عداد الملائكة ويكون نسبة القول إليه على حد بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم .

هذا وقد ذكر بعض المفسرين : أن قول الملائكة هذا عبارة عن المعنى الذى قام بنفسهم . لأن الله تعالى لا يرى حتى للملأ الأعلى بنص القرآن الكريم على حد :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

بعد هذا نعود إلى تفسير الألفاظ واعرابها :

«من» فى موضع نصب على المفعول والعامل تجعل والمفعول الثانى يقوم مقامه فيها ومن اسم موصول بمعنى الذى لفظه لفظ المفرد وقد يكون معناه جمعا قال تعالى : **﴿ومنهم من يستمع إليك﴾** **﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾** على اللفظ والمعنى . ويسفك معطوف على يفسد مرفوع مثله وروى أسيد عن الأعرج انه قرأ ويسفك الدماء بنصب يسفك يجعله جواب الاستفهام بالواو كما قال :

الم اك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والاخاء

والسفك معناه الصب والاراقة ولا يستعمل إلّا فى الدم والدمع

حكى ذلك ابن فارس والجوهرى .

وقد يستعمل فى نثر الكلام أى ارساله نثراً .

والدماء جمع دم أصل لامه واو أو ياء وقد سمع قصره وتضعيفه وقد جاء على الأصل : قال الشاعر :

فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ الجملة حالية فى محل نصب وهى حالة من الضمير الواقع فاعلاً فى (أتجعل فيها) وصيغة المضارع للاستمرار وتقديم السند إليه على المسند الفعلى للاختصاص .

والتسبيح فى الأصل مطلق التبعيد والمراد به هنا تبعيد الله تعالى وتنزيهه عن السوء وعما لا يليق بجلاله .

وهو يتعدى بنفسه وباللام اشعاراً بالتعليل والاخلاص لله تعالى فالمفعول المقدر هنا يمكن أن يكون باللام كقرينه وبدونها على الأصل .

و (بحمدك) فى موضع الحال والباء لاستدامة الصحبة والمعية . أى نخلط التسبيح بالحمد ونصله به .

وقيل معترضة بين الكلامين على وجهة التسليم . فالمعنى ونحن نسبح ونقدس وأنت المحمود فى الهداية إلى ذلك (ونقدس لك) التقديس فى المشهور مرادف التسبيح واحتاجوا لدفع التكرار إلى أن أحدهما باعتبار الطلقات والآخر باعتبار الإعتقادات وبدور التطهير

مع التقديس حيثما دار كما يستفاد من القرآن الكريم[1] .

والمراد بقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الاستفسار عن المرجع أى أتجعل فيها وتستخلف من ذكر ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لأننا معصومون .

فهم لم يقولوا ذلك عجباً أو تفاخراً حتى يضر بعصمتهم كما زعمت الحشوية ﴿**قال إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ أعلم يجوز أن يكون فعلاً مضارعاً فما موصول مفعول لا علم وقيل انه اسم فاعل بمعنى عالم كما يقال الله أكبر أى كبير وعلى هذا فما فى موضع خفض بالاضافة .

والمراد بما لا يعلمون ما يضمره ابليس من الكفر وعدم السجود لآدم . أو ما يعلمه تعالى من أن المستخلفين يكون منهم الأنبياء والشهداء والصالحون أو ما يعم هذا وغيره وهو الأحسن لأنه أخبر عنه تعالى بقوله ﴿**انى أعلم غيب السموات والأرض**﴾ ويفهم من كلام القوم قدس الله أسرارهم أن المراد بيان الحكمة من خلق بنى آدم عليه السلام لأن بهم يظهر معنى الصفات والأسماء دون الملائكة .

المراد بالتعليم والأسماء

قال تعالى : ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ علم معطوف على قال

---

(١) يقول القرطبى ص ٢٣٧ وبناء قدس كيفما تصرف فإن معناه التطهير ومنه قوله تعالى : ﴿**ادخلوا الأرض المقدسة**﴾ أى المطهرة وقال تعالى ﴿**الملك القدوس**﴾ يعنى الطاهر ومثله ﴿**بالوادى المقدس طوى**﴾ وبيت المقدس سمى به لأنه المكان الذى يتقدس فيه من الذنوب أى يتطهر وقد ذكر أنه وقع بهذا المعنى فى الحديث والشعر العربى .

وفيه تحقيق لمضمون ما تقدم وقيل معطوف محذوف أى فخلق وعلم أو نفخ فيه الروح وعلم وابراز اسمه عليه السلام للتنويه بذكره .

وآدم . صرح الجواليقى بأنه إسم عربى ووزنه أفعل من الأدمة وهى السمرة أو البياض ومنع صرفه للعلمية ووزن الفعل وقيل أعجمى ووزنه فاعل وكثر هذا الوزن فى أسماء العجم كشالخ وآزر ويشهد لهذا جمعه على أوادم . والمراد بالتعليم هنا أن الله خلق فيه بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بتلك الأسماء ومدلولاتها ووجه دلالتها . وقيل بأنه خلقه من أجزاء مختلفة مستعداً لادراك أنواع المدركات والأسماء جمع اسم وهو هنا يعنى العبارة وفى الأصل ما يكون علامة ودليلاً لأن الاسم يدل على المسمى فهو من السمة بمعنى العلامة وارادة المعنى المصطلح فى النحو لا يصبح لحدوثه بعد القرآن الكريم .

والمراد بالأسماء إما اللغات على اختلافها أو أسماء المسميات ما كان وما يكون . إلى يوم القيامة وقيل المراد أسماء الملائكة أو النجوم وقال الترمذى اسماؤه جل جلاله قال الألوسى : والحق ما عليه أهل الله تعالى وهو الذى يقتضيه منصب الخلافة الذى علمت وهو أنها أسماء الأشياء علوية وسلفية جوهرية أو غرضية .

وقال أن خويزمنداد فى هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً وأن الله علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً . قال ابن عباس علمه أسماء كل شىء حتى الجفنة والمحلب وعلى هذا فالواضع للغة هو الله تعالى وهو مذهب الاشاعرة خلافاً للمعتزلة الذين قالوا أن الواضع لها آدم عليه السلام وعلى أن اللغة توفيقية يكون آدم عليه

السلام أول من تكلم بالعربية بل أول من تكلم بجميع اللغات بتعليم الله تعالى له كما تقدم .

وقبل الانتقال من هذا الموضع من الآية إلى غيره ينبغى أن نذكر أن هناك خلافاً فى أن آدم هذا هل هو أبوالبشر ولم يكن أحد قبله من جنسه أم الأمر بخلاف هذا فنقول :

هل آدم هذا أبوالبشر ولم يكن أحد قبله من جنسه

والجواب[1] أن العقل لا يحيل هذا ويسوغ أن يكون الله تعالى خلق آدم غير هذا ولكن الله تعالى لم يذكر سوى آدم الذى نعرفه بأنه أبوالبشر فالقول بوجود غيره مجازفة بدون برهان قاطع ولا يصح اعتقاده .

وقد وجد قديماً وحديثاً من يدعون أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كأهل الهند وقد كانوا قديماً يدعون أن آدم هذا كان عبداً من عبيدهم هرب إلى الغرب وجاء بأولاده وإلى هذا يشير المعرى بقوله :

تقول الهند آدم كان قنا   لنا فسعى إليه مجيبوه

وإلى القول بوجود أوادم سوى آدم هذا يشير بقوله :

جائز أن يكون آدم هذا   بعده آدم إثر آدم

ويقول أيضاً :

وماآدم فى مذهب العقل واحد   ولكنه عند القياس أوادم

---

(١) ذكر ذلك الأستاذ عبد الوهاب النجار جوابًا على هذا السؤال فى كتابه قصص الأنبياء .

وفى الناس فريق يرجح أنه ليس أول نوعه ويستأنس لذلك بقول الملائكة ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ ويقول أن هذا القول صدر بسبب رؤيتهم من تقدم آدم من الخلق الذين على صورته يقوم بالافساد وسفك الدماء وآدم خليفة عن بشر مثله كانوا من جنسه وكل هذه الأقوال لا تستند إلى نص قطعى الثبوت والدلالة .

إن الذين يقولون أن آدم ليس أول نوعه يعززون أقوالهم بما يراه علماء الجيولوجيا من وجود بقايا عظام لآدميين تخالف عظام الآدميين الموجودين الآن ويسمون هذا الجنس الآدمى مباشرة بالانسان (التياندرنالى)[1] وعلى كل فالمسألة لا تهمنا بشىء ولا يترتب على معرفتها كبير فائدة ولا يضر الجهل بها لأنها ليست من العقائد ولم يتعبدنا الله تعالى بمعرفتها وحسبنا ما نعرفه من القرآن الكريم من أن آدم هذا أبوالبشر فحسب وهو ما عليه أهل السنة والجماعة والخلاف الذى ذكر لا يعتبر .

وليس كل خلاف جاء معتبراً الا خلاف لهظ من النظر

معنى العرض والأنباء

﴿ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾

اختلف أصحاب التأويل هنا هل العرض للأسماء أو الأشخاص .

قال ابن مسعود العرض للمسببات وتذكير الضمير لتغليب ما

---

(١) انظر كتاب قصص الأنبياء للأستاذ : عبد الوهاب النجار .

اشتملت عليه من العقلاء وللتعظيم بتنزيلها منزلتهم فى رأى على البعض الآخر . وقيل الضمير للأسماء باعتبار أنها المسميات مجازاً على طريق الاستخدام على حد .

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

ومن قال أن الاسم المسمى قال الأسماء هى المسميات والضمير لها بلا تكلف ويرد عليه بأن انبئونى بأسماء هؤلاء يدل على أن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات لا عن نفسها والا لقيل انبئونى بهؤلاء فلا بد أن يكون المعروض غير المسئول عنه فلا يكون نفس المسميات . والعرض فى الأصل الظهور تقول فى بيان ذلك عرضت الشىء فأعرض أى أظهرته فظهر ومنه عرضت الشىء للبيع .

والذى يظهر من ظاهر الألفاظ أن العرض للمسميات دون الأسماء بدليل التذكير فى الضمير والسؤال عن الأسماء للأشخاص المعروضة وبدليل الاشارة بهؤلاء لأشخاص المسميات . ولو كان العرض للأسماء لكان المعنى على ظاهر اللفظ انبئونى بأسماء هذه الأسماء وليس كذلك .

فقال انبئونى بأسماء هؤلاء :

ليس المراد بالأمر بانبئونى حقيقته بل المراد التعجيز عن فعل المأمور به وليس من التكليف بما لا يطاق .

وهذا التعبير إشارة إلى أن منصب الخلافة أبعد من العيوق وأعز من بيض الأنوق على الملائكة لأنهم لا يعرفون المسميات ولا أسماءها ولا مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق وغير ذلك مما

لابد منه للخليفة الذى يقوم بذلك المنصب العظيم والأمر المحبوب .

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودنهن حتوف
الرجل حافية ومالى مركب والكف صفر والطريق مخوف

والأنباء فى الأصل مطلق الأخبار وهو الظاهر هنا . ويطلق بما فيه فائدة عظيمة ويحصل به علم أو غلبة ظن واختير هذا اللفظ دون اخبرونى أو اعلمونى مع انه يجرى مجرى كلٍّ للإيذان برفعة شأن الأسماء وعظم خطرها وهذا مبنى على أن النبأ يطلق على الخبر الخطير والأمر العظيم . ومنه النبى لأنه عظيم الشأن ثم هو يخبر عن الله تعالى «**هؤلاء**» إسم إشارة للجمع مطلقاً وهو مبنى على الكسر ولغة تميم وأسد وبعض قيس فيه القصر. قال الأعشى :

هؤلاء ثم هؤلاء أعطيت فعالاً محذوة بنعال .

وبعض العرب يقول هؤلاء . فيحذف ألف ها والهمز التالى لها .

﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أى فيما اختلج فى خواطركم من أنكم أفضل من كل خلق أخلقه واعلم . وهو تفسير مأثور عن ابن عباس اخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الملائكة قالوا لن يخلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم . وقول الملائكة ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ دليل هذا التفسير : فان التسبيح يدل على أفضليتهم . والتقديس يدل على كمال علمهم .

وجواب أن محذوف يدل عليه انبئونى وهو مذهب سيبويه . وعند الكوفيين وأبى زيد أن الجواب هو هو المتقدم وهو انبئونى . وعليه فالجواب مذكور لا محذوف والشرط متوسط بين الفعل والجواب .

«اعتراف الملائكة بالعجز»

﴿**قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾

قولهم هذا جواب عن قوله تعالى ﴿**انبئونى**﴾ فأجابوا بنفى العلم عن انفسهم واثبتوا لها علماً علمهم الله تعالى ﴿**سبحانك**﴾ معناه تنزيهاً لك أن يعلم الغيب أحد سواك فلا نتعاطى ما علم لنا به وغرضهم الاعتراف بالعجز ويؤخذ من هذا أن الواجب على من سئل عن علم لا يعلمه أن يقول الله أعلم أو لا أدرى للتأسى بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء. فقد روى البستى[1] فى المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أى البقاع شر؟ قال: **لا أدرى حتى أسأل جبريل** فسأل جبريل فقال لا أدرى حتى أسأل ميكائيل فجاء فقال: خير البقاع المساجد وشرها الأسواق.

وسأل ابن عمر رجل عن مسألة فقال لا علم لى بها فلما أدبر الرجل قال: نعم ما قال ابن عمر. سئل عما لا يعلم فقال لا علم لى به.

وذكر الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن انس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى وسبحان مصدر منصوب وعامله من لفظه يحذف ويضمر وجوباً وذلك عند الخليل وسيبويه ومعنى المصدر نسبحك تسبيحاً وقال الكسائى هو منصوب على أنه منادى مضاف حذف منه حرف النداء وقال الألوسى فى تفسيره انه مصدر فعله سبح مخفف بمعنى نزه ولا يكاد

(١) انظر فيما تقدم القرطبى والألوسى عند تفسير الآية.

(٢) كذا فى القرطبى كتاب الشعب. وفى التعليق «وفى نسخة النسائى».

يستعمل الا مضافاً إما إلى المفعول واما إلى الفاعل منصوباً باضمار فعل وجوباً وجاء شذوذاً :

(سبحانه ثم سبحاناً نعوذ به وقبلنا سبح الجـــودى والجمد)

وقد ذكر أن مجيئه منادى مما زعمه الكسائى ولا حجة له .

وما موصولة حذف عائدها وهى منصوبة على الاستثناء وحكى ابن عطية عن الزهرى انها فى موضع نصب على أنها مفعول به مقدم على عامله وهو علمتنا ويوجه كلامه بأن الاستثناء منقطع فالا بمعنى لكن وما شرطية . والجواب محذوف . والمعنى لا علم لنا أصلاً إلّا علماً علمتنا إياه وهذا أبلغ فى ترك الدعوى ﴿**إنك أنت العليم الحكيم**﴾ تأكيد لمضمون الجملة السابقة فلما نفوا العلم عن أنفسهم اثبتوه لله تعالى على أبلغ أوصافه مع اثبات الحكمة له حيث تبين لهم ما تبين فى جدارة آدم عليه السلام بالخلافة وصلاحيته لها دون سواه .

أتته الخلافة منقادة إليه تجرجر أذيالها

فلم تلك تصلح إلّا له ولم يك يصلح الا لها

وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة أى لجامها لأنه يمنعها عن الاعوجاج . وتقال للعلم لأن فيه هذا المعنى .

فمعنى الحكيم ذو الحكمة وقيل الحكم لمبدعاته فعلى الأول هو من صفات الذات وعلى الثانى من صفات الأفعال كما فى البحر لأبى حيان .

و «**أنت**» يحتمل أن تكون ضمير فصل فهو حرف لا محل له وفائدته تأكيد الحكم والقصر المستفاد من تعريف المسند والبعض

يعربه تأكيدا للمسند إليه يفيد التقرير له وقد قيل انه مبتدأ خبره العليم والحكيم إما خبر بعد خبر واما نعت للعليم وحذف متعلقها لافادة العموم فهو العليم بكل شيء والحكيم فى كل شئونه والعموم أولى من غيره .

«إظهار فضل آدم عليه السلام» :

قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم .

بعد اظهار عجز الملائكة واعترافهم بأنهم لا يعلمون إلّا ما علمهم الله تعالى أراد تعالى أن يظهر فضل آدم واحقيته للخلافة . فقال يا آدم انبئهم بأسمائهم . وناداه تعالى باسمه العلم كما جرت مخاطباته جل جلاله لسائر الأنبياء ما عدا نبينا ﷺ حيث ناداه بيا أيها النبى ، يا أيها الرسول لعلو مقامه وعظمة شأنه .

وأراد تعالى من آدم أن يوجه الأنباء إلى الملائكة ليكون له فضل المعلم وليكونوا له بمنزلة التلاميذ . فقال انبئهم ولم يقل انبئنى كما قال للملائكة انبئونى .

والانباء هنا الاعلام لا مجرد الاخبار . أى أضف إلى معلومهم علماً جديداً وهذا دليل لمن قال أن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة .

«هل الملائكة أفضل أم بنو آدم» :

وقد استدل بهذه الآية من فضل بنى آدم على الملائكة بقول الله تعالى : ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ بالهمز من برأ بمعنى خلق والبريئة الخليفة وزنا ومعنى .

وقد فضل البعض الملائكة مستدلاً بقول الله تعالى فى شأن الملائكة ﴿**عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** .﴾ وبقوله تعالى : ﴿**لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون**﴾ ومما ورد فى البخارى «**من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم**»[1] وهذا نص فى أفضلية الملائكة .[2] والصحيح أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر .

﴿**فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ .

جملة ﴿**فلما أنبأهم بأسمائهم**﴾ معطوفة على جملة محذوفة للعلم بها للاختصار والايجاز «والتقدير فأنبأهم بها فلما ... الخ» ..

واظهار الأسماء فى موضع اضمارها لاظهار كمال العناية بها .

وجملة ﴿**قال ألم أقل لكم**﴾ الخ جواب لما وفيها ايجاز ظاهر وتغيير الأسلوب فى جانب الكتمان لافادة استمراره . المستفاد من كنتم ـ لأن كان تفيد الدوام والاستمرار فى الغالب . ومن غير الغالب قوله تعالى ﴿**لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ أى ثم كان شيئاً مذكوراً .

والآية بظاهرها تفيد العموم . ومع ذلك فقوله تعالى : ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ أعم مفهوماً . لشموله غيب الغيب الشامل

---

(١) ذكر هذا الحديث القرطبى دليلاً عن فضل الملائكة على بنى آدم ص ٢٤٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه جـ ٩ ص ٢١٦ .

لذات الله وصفاته جل جلاله .

وبعض المفسرين خص غيب السموات بأكل آدم وحواء من الشجرة وغيب الأرض بقتل قابيل وهابيل .

ومعنى الكتم عدم اظهارها فى النفس لأحد ممن كان فى الجمع وليس المراد انهم كتموا الله تعالى شيئاً فإن ذلك لا يكون حتى من ابليس .

المراد بالسجود لآدم :

قال تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ .

الظرف متعلق بفعل يناسب المقام تقديره انقادوا أو اطاعوا .

والعطف هنا عطف القصة على القصة لتعدد النعمة . ولا يصح عطف الظرف هنا على الظرف السابق فى **﴿وإذ قال ربك﴾** لاختلاف الوقتين والسجود فى الأصل التذلل بما يدل عليه من انحناء أو غيره وهو فى شرعنا وضع الجبهة على الأرض تذللاً لله تعالى .

واختلف المفسرون فى المعنى المراد هنا . فقيل المعنى اللغوى وليس هناك سجود بوضع الجبهة على الأرض . وقيل انه المعنى الشرعى والسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم أما قبلة أو سبب وتكريم آدم وتفضيله على الملائكة بسبب كونه قبلة وكالكعبة كان شرفها للاتجاه إليها فلا اعتراض لمن قال لو كان آدم هذا قبلة ما امتنع ابليس لأن السجود لله تعالى لا لآدم وقد التبس هذا على إبليس .

وهناك من قال أن المسجود له حقيقة هو آدم عليه السلام

والسجود للمخلوق لم ينسخ إلّا فى شرعنا . وفيه أن السجود الشرعى عبادة وعبادة غير الله تعالى شرك محرم فى جميع الأديان والأزمان .

وعندى أن السجود لآدم لم يكن عبادة وإنما المقصود تحية آدم وتعظيمه والاعتراف له بالفضل من الملائكة بعد كلامهم فيه وعبادة الله تعالى فى إطاعة أمره حيث أمرهم بالسجود لآدم ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ وحيث أن الأمر كذلك فلا يضر السجود بأى وضع كان أى سواء كان بوضع الجبهة على الأرض أو بالانحناء .

والتحية بالسجود إنما منعت فى شرعنا وكانت جائزة فى شرع من قبلنا[1] قال تعالى : ﴿**ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً**﴾ وإنما كفر ابليس بمخالفة أمر الله تعالى لا بمجرد عدم السجود وكان عدم سجوده نتيجة قياس قاسه وهو انه مخلوق من نار وآدم من طين فهو أقوى فكيف يسجد الأقوى للضعيف وكذب فى قياسه وخاب فيه لأنه لا قياس مع النص وهو الأمر من الله تعالى .

قال تعالى : ﴿**قال ما منعك الا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ .

وبناء على ما عندى تكون اللام فى لآدم للتعليل أى اسجدوا لآدم تعظيماً له وتنويهاً بشأنه مثل «أتيتك للماء والعشب» وقيل

---

(١) كانت تحية الأكاسرة السجود قدام الملك على الأرض وتقبيل الأرض كما ذكر ابن الخيمى فى شرح ألفاظ التحيات . ص ٤٧ وشرح لفظ التحيات رسالة صغيرة لابن الخيمى ضمن ثلاث رسائل فى اللغة تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

اللام للسببية مثلها فى قوله تعالى : ﴿**اقم الصلاة لدلوك الشمس**﴾ أى بسبب دلوكها . وقيل هى بمعنى الجهة فتؤدى معنى إلى . مثلها فى قول حسان رضى الله عنه .

أليس أول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن

وهذان المعنيان يقول بهما من يقول أن السجود لله تعالى لا لآدم . فآدم سبب فى السجود لله تعالى لما تجلى فيه من الحكمة الالهية فى خلقه . أو هو قبلة للعبادة كالكعبة اليوم .

﴿**فسجدوا**﴾ أى سارعوا إلى الامتثال وسجدوا فالفاء للتعقيب ﴿**إلّا ابليس**﴾ ابليس اختلف فى اسمه هل هو اسم عربى أم هو أعجمى . فقيل انه اعجمى ممنوع من الصرف للعملية والعجمية وهذا قول الزجاج . وقيل انه عربى مشتق من الابلاس وهو اليأس من رحمة الله ومنعه من الصرف لكونه لا نظير له فى الأسماء . وهذا معترض بأنه ليس سبباً فى المنع من الصرف . وقيل منعه من الصرف لشبهه بالأسماء الأعجمية حيث لم يسم به أحد من العرب .

«الخلاف الواقع فى ابليس» :

وقد وقع خلاف فى ابليس هل هو من الملائكة أو من الجن وإذا كان من الملائكة فكيف يعصى مولاه وإذا كان من الجن فما السبب فى توجيه السجود إليه مع انه ليس منهم .

أما كونه من الملائكة فهو قول الجمهور . ومن الجمهور ابن عباس وابن مسعود وابن جريح وابن المسيب وقتادة وقد رجح

الطبرى انه من الملائكة .[1]

وكان اسمه عزازيل وكان من أشراف الملائكة وقد روى عن ابن عباس أن ابليس كان من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطاناً وحكى الماوردى عن قتادة انه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجنة .

وقال سعيد ابن جبير أن الجن سبط من الملائكة وابليس منهم وذهب إلى أنه من الجن وليس من الملائكة خلق كثير . مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿**إلّا إبليس كان من الجن**﴾ وإن الملائكة خلقوا من النور وخلق الجن من مارج من نار . كما روى مسلم عن عائشة . ويدل على هذا بعينه قوله تعالى حكاية عنه : ﴿**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ .

ومن أدلة هؤلاء أيضاً . أن الملائكة لا يستكبرون وهو قد استكبر ولا يعصون الله ما أمرهم وهو قد عصى وخالف .

ويجيب أصحاب القول الأول عن عصيانه مع كونه من الملائكة بأن ذلك لا يضر اما لأن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالب عليهم العصمة بعكس بنى آدم وأما لأن ابليس سلبه الله تعالى الصفات الملكية وألبسه الثياب الشيطانية :

والملك لا يعصى مادام ملكاً «ومن ذا الذى يامىّ لا يتغير»

وكان ذلك لسابق علم الله تعالى :

واظافير القضاء إذا حكمت ادمت وقسى القدر إذا رمت اصمت

وكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من البين فانطفا

---

(١) انظر تفسير الطبرى عند تفسير قوله تعالى : ﴿**فسجدوا الا ابليس**﴾ .

ويجيبون أيضاً عن كونه من الجن . بدليل (**كان من الجن**) إن كان بمعنى صار جنياً يسبب عصيانه وقد روى أنه مسخ بسبب هذه المعصية كما مسخ اليهود فصاروا قردة وخنازير لأن الجن صنف من الملائكة كما روى عن سعيد بن جبير.

قال الألوسى فى تفسيره بعد ما تقدم :

وكم أرقت هنأة القصة جفونا واراقت من العيون عيوناً فإن إبليس كان مدة فى دلال طاعته يختال فى رداء مرافقته ثم صار إلى ما ترى وجرى . وجرى ما به القلم جرى :

وكنا وليلى فى صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت ..

هذا ومن قال انه ليس من الملائكة قال إنما وجه إليه الأمر لكنه كان بينهم متصفاً بصفاتهم فخوطب بخطابهم وغلبوا عليه فى الخطاب أو لأن الجن كانوا أيضاً مكلفين بالأمر بالسجود أو لأنه خوطب صريحاً . بدليل قول الله تعالى : ﴿**إذ أمرتك**﴾

وبناء على ما تقدم من الاختلاف فى ملكيته يختلف نوع الاستثناء فأصحاب القول الأول يقولون أن الاستثناء متصل وأصحاب القول الثانى يقولون أن الاستثناء منقطع وذلك بناءً على ما تقرر عند النحاة والأصوليين بأن الاستثناء المتصل ما كان فيه المستثنى من جنس المستثنى منه والمنقطع ما كان بخلافه .

والذى تميل إليه النفس وتسانده الأصول وتؤيده الأدلة والقول بأن إبليس من الجن لا من الملائكة وأن الملائكة جنس غير الجن وقد عرفت أن الاستثناء منقطع فى سورة الكهف . ويؤيد هذا ما روى أنه خلق من نار والملائكة من النور كما ورد فيما رواه مسلم

وأحمد كما يؤيده قوله تعالى ﴿**افتتخذونه وذريته أولياء من دونى**﴾ والملائكة لا يتناكحون ولا يتناسلون . ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿**جاعل الملائكة رسلاً**﴾ ورسل الله معصومون .

متى كان هذا الأمر بالسجود
ومن أى أنواع الأمر هو؟ :

بقى ههنا مسألة وهى متى كان هذا الأمر بالسجود أكان بعد خلق آدم وتسويته ونفخ الروح فيه أم كان قبل خلقه حين قال للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ؟ . وعلى الأول يكون الأمر تنجيزياً وعلى الثانى يكون من قبيل الأمر التعليقى الذى يطلب به المأمور عند وجود ما علق عليه الأمر ومن هذا أقول أن الظاهر والمقتضى لهذه الآية بدليل ما قبلها من قوله تعالى : ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ الآية وكذا المقتضى لآية الاعراف وبنى اسرائيل والكهف وطه ان سجود الملائكة ترتب على الأمر التنجيزى الوارد بعد خلقه ونفخ الروح فيه وقال قوم آخرون بالثانى أى أنه من قبيل الأمر التعليقى لأن قوله تعالى فى سورة الحجر ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾ وكذا ما فى سورة (ص) يستدعى هذا وحمل الأمر فى سورة البقرة والأعراف وبنى إسرائيل والكهف وطه على حكاية الأمر التعليقى بعد تحقيق المعلق عليه اجمالاً لأنه حيث تحقيق المعلق عليه يكون الأمر التعليقى فى حكم التنجيز . والترتيب يتم فى آية الأعراف وهى : ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا**

للملائكة اسجدوا لآدم﴾ للترتيب والتراخى الرتبى أو الترتيب والتراخى الاخبارى. فالأمر معلق على نفخ الروح والتسوية والاستطراد إلى ذكر الروح يستدعى أن نعرف شيئاً عن الروح المذكورة فى جانب آدم عليه السلام وكذا النفخ الواردين فى قوله تعالى : **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾** فنقول :

معنى النفخ والروح :

أما النفخ فأمر خطير كثير المزالق وحسبنا فيه من العلم ما يبدو من ظاهر قوله سبحانه : **﴿ونفخت فيه من روحى﴾** على أن يكون مفهوماً أن الله عزّ شأنه إذا اسند النفخ إلى ذاته فقال ونفخت لا يريد أن له نفخاً على أمثال ما يجرى منا ليس كمثله شىء وهو السميع البصير. وما علينا الا أن نعتقد أن النفخ حصل ولا نفكر فى كيفيته.

وقد قال العلماء : لما أراد الله أن ينفخ فى آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فى فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال الروح تأتيه فقالت مثل ذلك وكذلك قال لها ثالثة إلى أن قال لها فى الرابعة أدخلى كرها واخرجى كرهاً.

وأما الروح الذى أضافه تعالى لنفسه فالطريق الوحيد إلى فهمه هو القرآن الكريم الذى من قال به صدق ومن حكم به عدل، والروح فى القرآن الكريم جاء على عدة أوجه :

أولاً : الروح المذكور فى قوله تعالى : **﴿يوم يقوم الروح**

والملائكة صفاً لا يتكلمون إلّا من اذن له الرحمن وقال صوابا﴾ .

ثانياً : عيسى عليه السلام إذ سمى بأنه روح من الله فى قوله تعالى : **﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾** .

ثالثاً : جبريل عليه السلام وذلك قوله سبحانه : **﴿نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين﴾** .

رابعاً : الوحى وذلك قوله تعالى : **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾** .

خامساً : سر من لدنه سبحانه يمد به من يشاء من عباده المؤمنين فيكون لهم من صفات القوة والثبات والسكينة ونحوها ما يتم به التأييد والنصر وذلك قوله تعالى : **﴿أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾** فأى هذه الخمسة يمكن للعقل أن يطمئن إلى أنه هو الذى نفخه الله تعالى فى آدم عليه السلام .

إنه لا يطمئن إلى أنه الروح الذى يقوم والملائكة صفا . ولا إلى أنه جبريل عليه السلام وليس هو الوحى ولا عيسى عليه السلام فبقى الأخير وهو السر الذى تكون به الصفات الطيبة القوية والذى يؤيد الله به عباده المؤمنين والنفس إلى هنا أميل وأسكن [1] أما الوصول إلى حقيقة هذا السر فدونه خرط القتاد لأنه مما اختص الله تعالى بعلمه قال تعالى : **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾** .

---

(١) انظر ما تقدم فى معنى الروح فى كتاب آدم للبهى الخولى .

﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ :

الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر كأن سائلاً سأل ماذا فعل؟ وقيل إن أبى واستكبر كليهما فى موضع نصب على الحال . أى فعل ما فعل آبياً مستكبراً . **﴿وكان من الكافرين﴾** مستأنف أو فى موضع الحال وقيل إن الجملة تذييل .

والاباء الامتناع عن الفعل مع أنفة وتمكن منه ولهذا إذا قلت أبى زيد الظلم كان أبلغ من قولك لم يظلم لأن العبارة الأولى تفيد قدرته على الظلم مع ابائه ولا كذلك العبارة الأخيرة . ولكون هذا الفعل فيه معنى النفى صح أن يأتى بعده الاستثناء المفرغ . قال تعالى : **﴿ويأبى الله الا أن يتم نوره﴾** وهو فعل نادر جاء على وزن فعل يفعل وليس فيه حرف من حروف الحلق فهو قد جاء على غير قياس ... قال العلامة الألوسى فى تفسيره وقد سمع أبى كرضى فالمضارع حينئذ قياسى .

الاستكبار التكبر وهو مما جاء به استفعل وتفعل بمعنى واحد «**وكان**» الظاهر فيها أنها بابها أى كان فى علم الله من الكافرين وقيل بمعنى صار وتعقب بأن المناسب على هذا فكان .

«التحقيق فى سبب كفر إبليس» :

قال القرافى [1] اتفق الناس على تكفير إبليس فى قضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود والا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع كافراً وليس كفره لكونه حسد

---

(١) انظر كتاب أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس . لمحمد دياب الاتليدى .

آدم وإلّا لكان كل حاسد كافراً وليس كفره بعصيانه وفسوقه وإلّا لكان كل عاصٍ وفاسق كافرا وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغي أنه كفر بنسبة الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذى ليس بمرضي ويظهر ذلك من فحوى قوله : ﴿**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر .

انتهى بنصه من كتاب أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى عباس . وهو فى كتاب الفروق للقرافى المالكى .

«**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**» :

العطف فى قلنا على إذ قلنا السابق بتقدير إذ أو بدون تقدير على أن الزمان واسع للقولين وتصدير القول بالنداء لتنبيه المأمور لما يلقى إليه من أمر .

«**اسكن**» أمر من السكنى بمعنى اتخاذ السكن لا من السكون وهو المعنى الأصلى لمادة سكن وما تفرع عنها ومنه السكين لأنها تسكن حركة المذبوح . ومنه المسكين لأنه ركن إلى السكون وقلة الحركة والسكينة والسكنة والسكان . فى كل منها معنى السكون . ومنه سكان السفينة لذنبها لأنه يمنعها من الاضطراب والميدان .

وإنما كان هنا معناه اتخاذ المسكن لا السكون لقوله تعالى ﴿**حيث شئتما**﴾ . وفى اسكن إشارة وتنبيه على الخروج . لأن السكنى ملكاً وتكون إلى مدة فدخول آدم وحواء الجنة كان دخول

سكنى مؤقتة لا دخول ثواء وتأبيد . وأنت ضمير مؤكد للفاعل المستتر ولابد منه ليصح عطف ما بعده على ما قبله . قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

وصح عطف الظاهر مع أنه لا يتسلط إليه فعل الأمر لأنه تابع ويفتقر فيه ما لا يفتقر فى المتبوع .[1]

وإيثار اسكن على اسكنا للتنبيه على أن آدم هو الأصل وزوجه تبع له فى جميع الأمور كما أنها كذلك فى الخلافة ولكونها مقصودة تبعاً فى الخلافة لا يصح وزوجك بدون العطف على أن يكون منصوباً على أنه مفعول معه .

وزوجك لغة القرآن زوج بدون هاء وقد جاء فى صحيح مسلم زوجة حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب قال : حدثنا حمد بن مسلمة عن ثابت اليمانى عن أنس أن النبى ﷺ كان مع إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فجاء فقال «يا فلان هذه زوجتى فلانة» فقال يا رسول الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك فقال رسول الله ﷺ **«إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم»**[2] . وزوج آدم عليه السلام هى حواء عليها السلام سماها بذلك وعلل التسمية بأنها خلقت من وحى .

---

(١) انظر فى ذلك القرطبى والألوسى عند تفسير هذا الموضع من الآية .

(٢) ذكر ذلك القرطبى مستدلاً على ما ذكره بهذا الحديث والحديث فى صحيح مسلم جـ ٢ ص ٢٧٠ كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليًا بامرأة وكانت زوجة أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به .

من أين خلقت حواء :

قال تعالى : ﴿**وخلق منها زوجها**﴾ وهذه العبارة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعاً من أضلاع آدم عليه السلام وخلق منه حواء وقال بذلك كثير من العلماء وهو ما تفيده عبارة التكوين وهى (فأوقع الإله الرب سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً . وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة واحضرها إلى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت .) انتهى من الاصحاح الثانى تكوين .

ومن الجائز أن يكون خلقها كما خلق آدم عليه السلام ويكون معنى ﴿**وخلق منها زوجها**﴾ من جنسها وعلى صورتها وتكون مادة المرأة غير متعرض لها والرأى الأول النفس إليه أميل لأن أضلاع الرجل تنقص ضلعاً عن أضلاع المرأة والنقص فى الجانب الأيسر من الرجل . وكان من قضاء على رضى الله عنه الحكم بنصيب امرأة لشخص اشتبهت ذكورته وانوثته حينما أريد توريثه وكان قضاء على بناء على عمد أضلاع صاحب المشكلة وقد كانت أربعاً وعشرين ضلعاً[1]

«**الجنة**» سميت جنة لاجتنانها وخفائها وال فيها للعهد كما عليه الجمهور من العلماء وأهل السنة والعهد للجنة المعدة للمتقين .

---

(١) ذكر ذلك القرطبي عند تفسير قوله تعالى (زوجك) بسورة البقرة ثم قال (وسيأتى فى المواريث بيان هذا إن شاء الله تعالى).

الخلاف فى جنة آدم عليه السلام :

وقع خلاف كبير فى جنة آدم عليه السلام وتضاريت فى ذلك الخلاف أقوال العلماء وانتصر كل منهم لقوله ورد احتجاج مخالفيه .

وحاصل الخلاف فى هذه الجنة أنها جنة فى السماء أو فى الأرض . وعلى أنها جنة فى السماء فهل هى جنة الخلد الموعودة للمؤمنين وهى دار الثواب أم جنة أخرى أعدت لآدم وحواء دون سواهما واختار فريق التوقف وعدم القطع لأن الأدلة متعارضة والكل ممكن .

وممن قال انها جنة فى السماء خاصة بآدم وحواء عليهما السلام الحسن وممن قال بأنها بستان فى الأرض بعض المتكلمين وبعض الصوفية الذين قالوا انها جنة البرزخ وذكروا انها عند جبل الياقوت تحت خط الاستواء وهى عندهم موجودة ويدخلونها بأرواحهم أما انها جنة الخلد الموعودة للمؤمنين فهو قول جمهور العلماء وأما التوقف فهو اختيار ابن الخطيب .

وممن ذكر الخلاف فى هذه الجنة أبوعيسى الرمانى فى تفسيره واختار انها جنة الخلد ثم قال والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير .

هذا وقد قال منذر بن سعيد والقول بأنها جنة فى الأرض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة وأصحابه وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلّا الدعاوى والأمانى وكما اتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر من

صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولاً ولا شاذاً ولا مشهوراً . ووصف تلك الجنة فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين يفيد هذا والذى أختاره التوقف فى هذه الجنة حيث لم يرد فى تعيينها أى نص قطعى الدلالة أنها جنة الخلد فى السماء أو جنة آدم فى الأرض وهو الأسلم .

كان هذا والذى أختاره وادين الله به الآن بعد ستة عشر عاماً من هذا الاختيار انها الجنة الموعودة بالمؤمنين . فى الآخرة لظاهر نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وهو ما عليه أهل السنة وعوام الأمة وخواصها وهو اختيارى أيضاً فى بحث الدكتوراه «قصة آدم فى القرآن الكريم وما دار حولها من شبهات» التى نجحت فى امتحانها عام ١٩٧٦م .

بيان حجج من قال إن جنة آدم عليه السلام هى جنة الخلد :

قالوا إن ما تقول به هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه . قالوا وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا قال رسول الله ﷺ «**يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم ؟**» وذكر الحديث قالوا وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه أن يستفتحها .

وفى الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام وقول موسى اخرجتنا ونفسك من الجنة ولو كانت فى الأرض فهم قد خرجوا من بساتين ولم يخرجوا من الجنة[1] .

وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة «وهل أخرجكم من الجنة إلّا خطيئة أبيكم» وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا . ومن حججهم «كلمة اهبطوا» وأيضاً ﴿**ولكم فى الأرض مستقر**﴾ فى سورة البقرة . فإن الهبوط نزول من علو إلى سفل . ثم ذكر الأرض عقب اهبطوا دليل على أنهم لم يكونوا فى الأرض قبل ذلك وقد تأكد هذا فى سورة الأعراف . ﴿**قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾ فلو كانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الاخراج وبعده .

ومن حججهم أن الله تعالى وصف جنة آدم بصفات لا تكون إلّا فى جنة الخلد فقال : ﴿**إن لك الّا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**﴾ وهذا لا يكون فى الدنيا أبداً ولو كان فى أرغد عيش وأنعمه . إذ لابد لكل إنسان أن يعرض له شىء من ذلك .

هذا وقد قالوا لو كانت تلك الجنة فى الدنيا لعلم آدم كذب إبليس فى قوله ﴿**هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾ فإن آدم كان يعلم أن الدنيا فانية وأن ملكها يبلى[2] .

---

(١) البخارى جـ ١ كتاب القدر باب نجاح آدم وموسى عند الله عزّ وجلّ حديث ٢١ ص ٣٢٦ وذكر ابن كثير فى قصص الأنبياء أن الحديث رواه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد والترمذى كل بسنده .

(٢) انظر فى هذا كتاب « حادى الأرواح إلى معالم الأفراح » لابن القيم .

«بيان حجج من قال أن جنة آدم ليست جنة الخلد بل جنة فى الأرض» :

من أدلتهم وحججهم أن الله جل جلاله قد أخبر على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة وهو لم يأت بعد وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بأوصاف ومحال أن يصف الله تعالى شيئاً بغير صفته .

وقد وصف تعالى جنة الخلد التى أعدت للمتقين بأنها دار المقامة ولم يقم فيها آدم ووصفها بأنها جنة الخلد ولم يخلد فيها آدم ووصفها بأنها دار الثواب والجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى آدم فيها بأعظم ابتلاء . ووصفها بأنها لا يعصى الله تعالى فيها أبداً وقد عصى آدم فى جنته التى دخلها ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل فيها لآدم وحواء من الحزن ما حصل ووصفها بأنها دار السلام ودار القرار ولم يسلم ولم يقر فيها الأبوان وقال تعالى . ﴿**وما هم منها بمخرجين**﴾ وقد أخرجنا . وقال تعالى : ﴿**لا يمسهم فيها نصب**﴾ وقد حصل فيها النصب لهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وقال جلّ جلاله ﴿**لا لغو فيها ولا تأثيم**﴾ وقد حصل فيها لغو إبليس واثمه .

وقال تعالى : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ ولم يقل فى جنة المأوى ومحال أن يكون سفك الدماء فى جنة المأوى .

قالوا ولو كانت جنة آدم هى جنة الخلد والملك الذى لا يبلى فلم لم يرد آدم على إبليس ويقول له . اتدلنى على شىء أنا فيه . حين قال

له إبليس : ﴿**هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾ ولم لم يرد عليه نصيحته حيث كان فى جنة الخلد . وكيف يصل إليها إبليس النجس ولا يدخلها إلّا طاهر فهى دار القدس وكيف يصل إليها بعد أن يخرج منها وهى فى السماء السابعة بعد طرده وابعاده عنها ؟ هذه بعض أدلتهم وهى قل من كثر يضيق نطاق الوقت عن حصره ومن أبرز حججهم أن الجنة الموعودة لا نوم فيها . قال منذر وقد روى عن النبى ﷺ «**أن آدم عليه السلام نام فى جنته**» وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص واجماع المسلمين . فإن النبى ﷺ سئل : «أينام أهل الجنة فى الجنة ؟ قال : «**لا النوم أخو الموت والموت وفاة**» .

وحديث نوم آدم المشار إليه المعروف بأنه موقوف من رواية أبى نجيح عن مجاهد قال : «خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم»[1] وفى هذا القدر ن سرد الحجج كفاية والله الموفق للصواب .

موقف أصحاب هذا القول من حجج أصحاب القول الأول :

أجابوا عن حجة . إن قولنا هو الذى فطر الله الناس عليه .

إن المسألة سماعية لا تعرف إلّا باخبار الرسل ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن الكريم لا من المعقول ولا من الفطرة فالمرجع فيه ما دل ليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو نابع واحد أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد التى أعدها الله للمؤمنين ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً . وقد ذكرنا لكم من

---

(١) حادى الأرواح إلى معالم الأفراح لابن القيم .

كلام السلف ما يدل على خلافه ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة ووافقت اسم الجنة التى اعدت للمتقين كما وافقت بعض أوصافها ذهب كثير من الأوهام إلى أنها هى بعينها . فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئاً وإن أردتم أن هذه الفطرة كفطرة الناس على استحسنان العدل واستقباح الظلم وغير ذلك من المسلمات الفطرية فدعوى باطلة فنحن لا نحس من أنفسنا هذا الاحساس .

أما حديث أبى هريرة رضى الله عنه وقول آدم : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستفتاح للخطيئة التى تقدمت منه فى دار الدنيا وانه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة فأين فى هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو التزام ؟ .

وأما قول موسى له : اخرجتنا ونفسك من الجنة .

فإنه لم يقل له اخرجتنا من جنة الخلد .

وأجابوا أيضاً عن قولهم انها لو لم تكن جنة الخلد فهم قد خرجوا من بساتين صى الأرض ولم يخرجوا من الجنة أن إسم الجنة وإن أطلق على البساتين لكن بينها وبين جنة آدم فرق شاسع وواسع والبساتين سجن بالنسبة لجنة آدم عليه السلام واشتراكهما فى أنهما فى الأرض لا ينفى التفاوت .

وأما عن معنى الهبوط فقد هجابوا . بأنه لا يستلزم أن يكون من السماء إلى الأرض بل يكون من مكان مرتفع إلى مكان منخفض وهذا غير منكر فإن تنة آدم كانت فى أعلى الأرض ولذلك سماها

الصوفية جنة الربوة .

كما ذكر ذلك الشعرانى وهو من أكابر الصوفية وأهل السنة فى كتابه الميزان الكبرى . فى فقه المذاهب الأربعة ولو كانت الجنة فى السماء لما تمكن منها اللعين بعد اهباطه منها .

قالوا وأما قوله تعالى : ﴿**ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾ فهذا لم يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض فإن الأرض إسم جنس وكانوا فى أعلاماً وأفضلها وأطيبها . بحيث لا يصيبهم جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا نصب ولا ضحى فاهبطوا إلى الأرض فيها هذا كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور .

وأما عن وصف الجنة بصفات لا تكون فى الأرض . فهى لا تكون فى الأرض التى اهبطوا إليها فمن أين لكم أنها لا تكون فى الأرض التى اهبطوا منها .

وأما من وصف جنة آدم بالخلد . فإن الخلد فى اللغة يدل على المكث الطويل لا الدوام والتأييد وأيضاً فإن فناء الدنيا ومجىء الآخرة إنما يعلم بالوحى ولم يتقدم لآدم عليه السلام نبوة يعلم بها ذلك .

موقف من قال انها جنة الخلد من حجج مخالفيهم :

قالوا فى رد استدلال من قال : ان جنة آدم هى جنة الربوة فى الأرض .

أما قولكم إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد .. فهذا حق فى

دخول الدوام والاستقرار أما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة وقد دخل النبى ﷺ الجنة ليلة الاسراء وهذا غير الدخول الذى أخبر الله تعالى به يوم القيامة فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا . وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد .

وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة وانها لا تكون فى جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا لا ننكره عند دخول المؤمنين فيها يوم القيامة كما يدل عليه ظاهر هذه الآيات وهذا لا يمنع أن يحصل لأبوى الثقلين ما حصل فى الدنيا كما قصه علينا القرآن الكريم وبهذا لا يكون هناك تناف بين الأمرين .

وأما قولكم انها دار جزاء وثواب لا دار تكليف فإن الممنوع التكليف فيها إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة واما فى الدنيا فلا مانع من التكليف فيها ولا دليل على امتناعه البتة .

وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها .

فالنوم الممنوع إنما يكون عند دخول الخلود يوم القيامة وأما قبل ذلك فلا مانع منه .

وأما استدلالكم بقصة وسوسة[1] إبليس له بعد اهباطه واخراجه من السماء فلعمرو الله إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله وصعوده إلى السماء بعد

(١) حادى الأرواح إلى معالم الأفراح لابن القيم .

اهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هناك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى وقدر أسبابه وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له ومستقراً كما كان وقد أخبر جل جلاله عن الشياطين إنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشىء من الوحى وهذا صعود لكنه صعود عارض لا استقرار معه مع قوله تعالى : ﴿**اهبطوا بعضكم لبعض عدو**﴾ فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط .

هذه حجج كلٍّ لتأييد دعواه ورد كلٍّ حجج الآخر ومع كل هذا فإن التوقف فى تعيين هذه الجنة هو الذى أختاره وهو الأسلم حيث لم يتعبدنا الله تعالى بمعرفتها على التعيين . ولله غيب السموات والأرض وهو عالم الغيب والشهادة .

وأقول كما قلت آنفاً والذى اختاره وادين الله به الآن أن جنة آدم هى الجنة الموعودة للمؤمنين فى الآخرة لما قد ذكرت[1] .

﴿**وكلا منها رغداً حيث شئتما**﴾ .

الأمر لآدم وحواء عليهما السلام . «**منها**» أى من الجنة على حذف مضاف أى من مطاعمها من ثمارها وغيرها فلم يحظر عليهما شيئاً إلّا شجرة النهى «**رغداً**» الرغد العيش الهنى الواسع الذى لا عناء فيه . فقال الشاعر :

---

(١) والقول بأنها جنة فى الأرض قول المعتزلة أدى إليه اعتقادهم أن الجنة والنار غير مخلوقتين الآن وهو قول غير مرضى مخالف لقوله تعالى أعدت للمتقين فى جانب الجنة و « أعدت للكافرين فى جانب النار » .

بينما المرء تراه ناعماً يأمن الأحداث فى عيش رغد

وقراءة الجمهور فيه رغدا بفتح العين وقرأ النخعى وابن وثاب بسكونها وهو منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف.

وقال ابن كيسان انه حال بتأويل راغدين.

و «**حيث**» ظرف مكان مبهم لازم للنظر فيه واعرابها لغة بنى فقعس ولا تكون ظرف زمان خلافاً للأخفش ولا يجزم بها دون ما خلافاً للفراء ولا تضاف للمفرد خلافاً للكسائى ولا يقال زيد حيث عمرو خلافا للكوفيين.

ويعتقب على آخرها الحركات الثلاث مع الياء والواو والألف ويقال حايث على قلة فاللغات فيها عشر وهى متعلقة بكلا والمراد بها العموم لقرينة المقام.

﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾

النهى للتحريم والمنهى عنه الأكل منها فنهى عن قربانها مبالغة وفيه دليل لمن قال بالعمل بسد الذرائع لأن الوسيلة إلى المحرم محرمة وفى معنى تقرباً قال ابن العربى: سمعت الشاشى فى موضع النظر يقول:

«إذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلبس بالفعل وإذا كان بضم الراء فإن معناه لا تدن منه».

وعبر تعالى بالظلم الذى يطلق على الكبائر ولم يكتف بأن يقول ظالمين بل قال من الظالمين مبالغة.

بناء على ما تقرر من أن قولك زيد من العالمين أبلغ من زيد عالم لجعله عريقاً فى العلم أبا عن جد وتزداد المبالغة إذا قلنا ان كان دالة

على الدوام والاستمرار كما هو الأصل فيها ؛

هذا وقد وقع خلاف فى شجرة النهى هذه . فقيل شجرة التين وقيل الحنطة وقيل النخلة وقيل شجرة الكافور وقيل الكرمة والأحسن عدم التعين والقطع لأن الله تعالى لم يعينها باسمها . والتاءفى الشجرة للوحدة الشخصية فالمنهى عنه شجرة بعينها وهو اللائق بالإشارة لإزاحة كل شبهة فى ذاتها وقيل للوحدة النوعية فالمنهى عنه حينئذ جميع نوع هذه الشجرة .

والشجرة تشمل ما له ساق وفروع وما ليس كذلك لقوله تعالى : ﴿**شجرة من يقطين**﴾ واليقطين شجرة القرع وهى لا ساق ولا فروع لها قائمة بل من النباتات الزاحفة وقوله تعالى ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾ اما مجزوم بحذف النون معطوف على تقربا فالنهى مسلط عليه أيضاً وكان على أصل معناها أو منصوب على جواب النهى كقوله سبحانه وتعالى : ﴿**ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى**﴾ وكان حينئذ بمعنى صار . وأياً ما كان فالأكل من الشجرة سبب فى كونها من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا حظوظ أنفسهم بارتكاب ما يخل بالكرامة .[١]

﴿**فأزلها الشيطان عنها**﴾ عن هنا تفيد السببية مثلها فى قوله تعالى : ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن موعدة وعدها إياه**﴾[٢] فالمعنى حملها على الزلة بسبب هذه الشجرة . وقيل ازلها أى أذهبها وأبعدها عن الجنة ويعضده قراءة حمزة فأزالها .

---

(١) انظر فيما تقدم روح المعانى للألوسى عند تفسير هذا الموضع من الآية .
(٢) آية ١١٤ سورة التوبة .

والضمير حينئذ للجنة أما على الأول فالضمير للشجرة وعلى المعنى الثانى وهو قراءة حمزة يكون عود الضمير على الشجرة يتجوز من اطلاق إسم المحل وارادة الحال فيه أو بتقدير مضاف أى محلها على حد واسأل القرية أى أهلها . فهو مجاز بالحذف وازلال إبليس لهما كان بكذبه وحلفه لهما بأنه لهما لمن الناصحين وقد اختلف فى وسيلة هذا الإزلال فقيل دخل الجنة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة ولم يعرفه الخزنة وقيل ، وقيل : والأحسن كما قال أبو منصور ليس لنا البحث عن كيفية ذلك وهذا من الانصاف بمكان . إذ لم يرد نص قاطع يبين لنا كيفية وصول إبليس إلى الجنة بعد طرده منها .

«هل ما حصل من آدم معصية» :

المعتقد أن الأنبياء معصومون ، فهل ما حصل من آدم يعتبر معصية ؟ أجاب العلماء عن ذلك بأقوال . منها أن الأكل وقع قبل النبوة وهو ما يقوله المعتزلة ووقوع الذنب قبلها جائز عند أكثر الأصحاب وهو قول أبى هذيل وأبى على من المعتزلة . والبعض يقول النهى للتنزيه لا للتحريم والمراد بالظلم هنا نقص الحظ والبعض يقول أن آدم تأول بأن المراد من النهى شجرة بذاتها دون بقية نوعها .

والأحسن أن آدم أكل ناسياً ولا يعتبر هذا معصية وإنما ترتب على أكله ما ترتب نظراً لمقامه من قبيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) وبهذا يكون ما حصل منه لا يقدح فى عصمته . والذنب

الذى يخل بالعصمة ما كان دون عذر واثبات أكله من الشجرة بدون عذر دونه خرط القتاد كيف لا وقد قال تعالى : ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً**﴾ .

وهذا ما يتناسب مع وجوب اعتقاد عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة والأول على تقدير رجوع ضمير عنها إلى الشجرة أو الجنة والثانى مخصوص بالتقدير الأول لئلا يسقط الكلام وقيل مما كانا فيه من اللباس لقوله تعالى : ﴿**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾ وفى الكلام تفخيم عظيم لما كانا فيه افاده لفظ ما الذى يفيد الابهام والعموم .

﴿**وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو**﴾ :

الهبوط معناه النزول من علو إلى أسفل وقال الفضل هو الخروج من البلد والدخول فيها من الاضداد . ويقال فى انحطاط المنزلة . والبعض فى الأصل مصدر بمعنى القطع ويراد به الجزء وهو ككل ملازم للاضافة لفظاً أو نية ولا تدخل عليه اللام لأنه مضاف إما لفظاً واما نية . ولا يجتمع فى الاسم تعريفان ويطلق بعض على الواحد والمثنى والجمع .

والخطاب هنا لآدم وحواء . لقوله تعالى ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً**﴾ والقصة واحدة وجمع الضمير لتنزيلهما منزلة البشر كلهم . واختار الفراء أن المخاطب هما وذريتهما وفيه خطاب المعدوم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وكثير من السلف أن المخاطب آدم

وحواء وابليس واعترض بخروجه قبلها وقيل هم والحية واعترض بعدم تكليفها وأجيب بأن الأمر تكويني .

والجملة الاسمية محلها النصب على الحال المقدرة والحكم باعتبار الذرية وإذا دخل إبليس والحية كان الأمر أظهر ولا يرد أنه كيف يفيد الأمر بالتعادى وهو منهى عنه لأن كون العداوة طبيعية يصرف توجه النظر عن المقيد وإن جعل الأمر تكوينياً زال الاشكال وفيه بعد .

وقد أفرد عدو نظرا للفظ بعض أو لأنه يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد وبهذا الأمر نسخ الأمر بالسكنى والأكل والنهى عن الأكل من الشجرة .

﴿ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ :

المراد بالأرض جنس الأرض وليس المراد شخص الأرض الذى هو لآدم موضع بجبل سرنديب . وحواء موضع بجدة ببلاد الحجاز . ولابليس موضع بالأبلة ولصاحبته موضع بنصيبين أو أصبهان أو سجنان .

والمراد بصاحبته الحية .

والمستقر مكان الاستقرار والحين مقدار من الزمن طويلاً أو قصيراً والمراد هنا إلى وقت الموت على أن المستقر هو المقام فى الدنيا وقيل إلى قيام الساعة وهذا على أن المستقر هو القبور بعد الموت .

وقوله تعالى **﴿إلى حين﴾** فيه إشارة إلى آدم ليعلم أنه غير باق فى الدنيا وانه منتقل منها إلى الجنة وهى لغير آدم دالة على الميعاد

فحسب .

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ :

أى استقبلها بالقبول والعمل بها وباكرامها كأنه يستقبل إنساناً ازداد شوقه إليه وطالت غيبته عنه .

وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على معنى استقبلته مكرمة له بسبب العفو عنه . والكلمات كما فى المشهور المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما هى :

﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ .

وعن ابن مسعود انها (**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلّا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت**) .

وقيل رأى مكتوباً على ساق العرش «محمد رسول الله فتشفع به» وكما أطلقت الكلمة على عيسى عليه السلام فلتطلق الكلمة على الروح الأعظم والحبيب الأكرم ﷺ فما موسى وما عيسى إلّا بعض عن ظهور انواره وزهرة من رياض أنواره ويحسن فى هذا المقام أن نتكلم عن نبوة آدم ورسالته وما قيل فيهما .

«ما قيل فى نبوة آدم ورسالته عليه السلام»

إن نبوة آدم عليه السلام قد أخذت دوراً مهماً منذ سنوات كما يقول الشيخ عبدالوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء إذ ظهر فى مدينة دمنهور رجل أنكر أن يكون آدم نبياً وقد رفعت عليه الدعوى

بالمحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بتلك الأفكار ولما استأنف الحكم إلى محكمة الاسكندرية كان كلامه امامها انه لم ير لفظاً فى القرآن الكريم يذكر آدم بالنبوة وانه يعتقد نبوته فصدر حكمها بإلغاء الحكم الأول ورجعت إليه زوجته . أقول أيضاً أن القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم عليه السلام كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كاسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولكن ذكر أنه خاطبه بلا وابطة وشرع فى ذلك الخطاب فأمره ونهاه واحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً وهذا هو كل معانى النبوة فمن هذه الناحية نقول أنه نبى وتطمئن نفوسنا بذلك .

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى على انى رأيت حديث أبى هريرة فى الشفاعة الوارد فى صحيح مسلم «**إن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون أنت أول رسل الله إلى الأرض**» فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول والقائلين برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان وهو تكلف انتهى من قصص الأنبياء ..(1)

ولكنى رأيت فى تفسير القرطبى عند قوله تعالى : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ ما يفيد بأن آدم عليه السلام نبى ورسول وهو ما يأتى :

﴿**وخليفة**﴾ بالفاء قراءة الجماعة الا ما روى عن زيد بن على بأنه

---

(1) انظر قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار عند كلامه على قصة آدم عليه السلام .

قرأ خليقة بالقاف والمعنى بالخليفة هنا فى قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام وهو خليفة الله فى امضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى الأرض كما فى حديث أبى ذر قال : قلت يا رسول الله أنبياً كان مرسلاً ؟ قال **(نعم)** الحديث ويقال لمن كان رسولاً ولم يكن فى الأرض أحد فيقال كان رسولاً إلى ولده وكانوا أربعين فى عشرين بطناً فى كل بطن ذكر وانثى وتوالدوا حتى كثروا كما قال الله تعالى : **﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾**[1] وأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وعاش **٩٣٠** سنة هكذا ذكر أهل التوراة وروى عن وهب ابن منية أنه عاش ألف سنة والله أعلم . أ . هـ بنصه من القرطبى ومذهب أهل السنة والمتكلمين أنه نبى ورسول وهو من الخمسة والعشرين رسولاً المذكورين فى القرآن الكريم والذين يجب العلم بنبوتهم ورسالتهم تفصيلاً وهو ما نعتقده وندين الله به وقد نظمهم بعض الفضلاء فقال كما فى شرح البيجورى على الجوهرة :

فى تلك حجتنا منهم ثمانية   من بعد عشر[2] ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا   ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

﴿فتاب عليه انه هو التواب الرحيم﴾ :

التوبة من الله تعالى بمعنى قبول التوبة من العبد والعفو عن

---

(١) آية ١ سورة النساء .

(٢) أى فى قوله تعالى : **﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم.ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا﴾** الآيات من ٨٣ إلى ٨٦ من سورة الأنعام فنى هذه الآيات ثمانية عشر رسولا .

الذنب ونحوه أو التوفيق لها والتيسير لأسبابها ونرجع فى الآخر إلى معنى التفضل والعطف ولهذا عديت بعلى .

والفاء المفيدة للتعقيب لمجرد السببية لأن التلقى سبب فى التوبة أو مستلزم لها بدون فاصل بين التلقى والتوبة ولم يقل سبحانه عليهما بالتثنية لأن النساء تبع يغنى عنهن ذكر المتبوع .

والجملة الاسمية تفيد تقوية رجاء المذنبين لأنها تدل على الدوام والاستمرار وقدم التواب لظهور مناسبته لما قبله وقيل ذكر الرحيم بعده إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب كما زعمت المعتزلة بل على سبيل الترحم والتفضل .

﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ :

إذا كان الاهباط الثانى عين الأول فالتكرير للتأكيد والفعل لكمال الاتصال والفاء فى فتلقى للاعتراض إذ لا يجوز العطف متقدماً على التأكيد وقد اختار التأكيد الكثير معللاً بأن القصة واحدة وفائدة التأكيد الاهتمام بشأن التوبة لئلا يمهلها فإن الامهال لها ذنب آخر .

وإذا كان غير الأول فلا تأكيد ويكون التكرير ليتعلق بالاهباط معنى آخر غير الأول . لأن الاهباط الأول تعلق به التعادى وعدم الخلود والأمر فيه تكوينى والاهباط الثانى ذكر ليتعلق به اهتداء من اهتدى وضلال من ضل فالأمر فيه تكليفى .

ويسمى مثل هذا فى البديع الترديد فالفصل حينئذ للانقطاع لتباين الغرضين .

هذا وقد قال الجبائى أن الاهباط الأول من الجنة إلى السماء

والثانى من السماء إلى الأرض ويضعفه ذكر الأرض فى جانب الاهباط الأول حيث قال تعالى : ﴿**ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾ و «**جميعاً**» حال من فعل واهبطوا أى مجتمعين .

﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ :

هذا الخطاب لا يدخل فيه غير المكلف وادرج الكثيرون إبليس لأنه مخاطب بالايمان .

ونكر هدى لأن المقصود منه المطلق ولم يسبق فيه عهد فيعرف .

واختلف فى المراد منه فقيل الكتب المنزلة . وقيل التوفيق للهداية وقيل الرسل وهى إلى آدم من الملائكة وإلى بنيه من البشر كما جاء فى حديث أبى ذر وخرجه الآجرى .

و ﴿**ومنى**﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى هو الذى يخلق أفعال العباد خلافا للقدرية وغيرهم .

وما فى قوله ﴿**فإما**﴾ زائدة على أن التى للشرط وجواب الشرط الفاء الداخلة على الشرط الثانى فى «فمن تبع» ومن فى موضع رفع بالابتداء ﴿**وتبع**﴾ فى موضع جزم بالشرط ﴿**فلا خوف**﴾ جوابه قال سيبويه الشرط الثانى وجوابه هما جواب الشرطين جميعاً .

ـ الخوف ـ هو الذعر ولا يكون إلا فى المستقبل وخاوفنى فلان فخفته أى كنت أشد خوفاً منه .

والتخوف التنقص . ومنه قوله أبى كبير الشاعر الهذيلى :

تخوف الرجـــل منها تامكاً قردا

كما تخوف عود النبعة السَّفِن[1]

قال تعالى : ﴿**أو يأخذهم على تخوف**﴾[2] .

وقد سأل عمر رضى الله عنه عن معنى التخوف وهو على المنبر فأجابه شيخ من هذيل قائلاً : هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال نعم : وأنشد البيت .

وقرأ الزهرى والحسن وعيسى بن عمر وهبن أبى اسحاق ويعقوب ﴿**فلا خوفَ**﴾ .

بالنصب على التبرئة والاختيار الرفع والتنوين على الابتداء .

والحزن بضم الحاء وفتحها ضد السرور وحزن الرجل فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه أيضاً . ومحزون بنى عليه . وحزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم والمعنى فى الآية فلا خوف عليهم فيما بين أيديهم عن الآخرة ولا هم يحذنون على ما فاتهم من الدنيا .

وقد قيل انه لا يدل على نفى الخوف من أهوال القيامة لكثرة ما وصفه الله تعالى ورسوله من شدائد يوم القيامة إلّا هنه تعالى يخففه على المطيعين وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا والله أعلم .

وإلى هنا انتهى ما امكن الوصول إليه من مختار القول بشأن قصة الخلافة فى سورة البقرة . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

---

(١) من كتاب النفحة الأحمدية فى بيان الأوقات المحمدية .

(٢) آية ٤٧ ـ النحل .

«تعقيب يتعلق بقصة الاستخلاف» :

الناظر فى القرآن الكريم يجد أن آدم عليه الصلاة والسلام قد ذكر فى القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة فى خمس وعشرين آية فى تسع من السور وها هى هذه الآيات وتلك السور .[1]

رقم السورة	السورة	الآيات
٢	البقرة	٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
٣	آل عمران	٣٣ ، ٥٩
٥	المائدة	٢٧
٧	الأعراف	١١ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٢
١٧	الاسراء	٦١ ، ٧٠
١٨	الكهف	٥٠
١٩	مريم	٥٨
٢٠	طه	١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١
٣٦	يس	٦٠

هذه هى الآيات والسور التى ذكر فيها آدم عليه السلام لكن

(١) فصل الأنبياء للأستاذ : عبد الوهاب النجار .

القصة وردت فى سورة البقرة باسهاب وتفاوتت فى الأسهاب فى السور الآتية الأعراف ، الاسراء ، الكهف ، طه ، ص ، وإنما تفاوتت فى الإيجاز والاسهاب حسب موضع العظة .

وورود القصة فى كل سورة وردت فيها لا يخلو من سبب ومناسبة زيادة على ما فى التكرار من تنوع الأسلوب والتفنن فى العرض من دلالة على اعجاز القرآن الكريم الذى بهر الدنيا ببلاغته وفصاحته فى وقت ومكان كانت البلاغة فيهما فى اسمى ذروتها وفصاحة لغة الضاد فى أرقى مراقيها .

وسأتكلم بتوفيق الله تعالى على أسباب ورودها فى السور التى وردت فيها .

«سبب ورود القصة فى سورة البقرة» :

ذكرت قصة آدم عليه السلام فى سورة البقرة فى سياق تذكير الناس بنعم الله عليهم والعجب من أنهم يكفرون به وهو الذى غمرهم بفضله وانعامه من بدء خلقهم فبعد أن قال سبحانه وتعالى : ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون . هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم**﴾ قال ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾إلى قوله تعالى : ﴿**فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ .

ففى هذه الآيات التسع التى ذكرت فيها قصة الخلافة تذكير الناس بنعم الله الجليلة التى أنعم بها عليهم والنعمة على الأصل نعمة

على فرعه فالخلافة وتعليم الأسماء وايثار آدم بالخلافة على الملائكة والتوبة عليه كلها نعم من الله تعالى يجب على الإنسان أن يذكرها فساق القصة للتذكير بنعم الله على الإنسان ولهذا : قال سبحانه عقب القصة : ﴿**يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم**﴾ .

«سبب ورود القصة فى سورة الأعراف»

وردت القصة فى هذه السورة فى سياق أن الناس قليلاً ما يشكرون الله الذى مكنهم فى الأرض وجعل لهم فيها معايش فبعد أن قال سبحانه ﴿**ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون**﴾ قال ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون**﴾ .

وفى هذه الآيات الست عشرة اسهاب فى موقف إبليس من الإنسان وحده وعدائه له . وقسمه باغواء بنى آدم من حيث تمكن وقد أراد المولى سبحانه وتعالى بهذه القصة تنبيه الناس إلى أنهم قليلاً ما يشكرون لأنهم فتنوا بوسوسة الشيطان ولو عادوه ونبذوا وساوسه لشكروا ربهم ومن أجل هذا كان الإطناب فى وسوسة الشيطان . وختمها الله تعالى بقوله :

﴿**يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة**﴾

«سبب ورود القصة فى سورة الحجر» :

سياق القصة هو أن الله كما خلق الإنسان من طين خلق الجن

من نار والنار والطين مادتان لكل واحدة منهما شأنها وليست مادة منهما بأفضل من الأخرى فاعتزاز إبليس ودعاؤه بأنه خير من آدم لأنه من نار وآدم من طين يدل على الجهل والغرور فبعد أن قال سبحانه . ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ . قال ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين**﴾ .

وفى هذه الآيات الأربعة عشرة أكان الإطناب فى رجم إبليس واستحقاقه اللعنة إلى يوم الدين لبيان أن مادة الخلق لا تدفع عقاب الله وسخطه وان الذى يدفعه إنما هو صالح الأعمال ولذلك قال تعالى بعدها . ﴿**إن المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين**﴾ .

«**سبب ورود القصة فى سورة الاسراء**» :

وردت القصة فى تلك السورة فى سياق فتنة الناس بحادث الإسراء حتى ارتد كثير من الناس فبعد أن قال الله تعالى : ﴿**وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى اريناك إلّا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً**﴾ قال جل شأنه : ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً**﴾. إلى قوله : ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**﴾ .

وقد ذكرت القصة فى ست آيات وكان الإطناب فى واقعة حسد إبليس وعدائه لآدم وذريته وإن ذلك العداء والوعد بالاغواء كان أعظم ابتلاء للجنس البشرى أوقع الكثير من المعاصى إلّا من عصمه الله .

«**سبب ورود القصة فى سورة الكهف**» :

فى سورة الكهف وردت قصة آدم فى آية واحدة .

﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا**﴾ . وكان ورودها فى سياق أن كل امرىء يعطى كتاب أعماله يوم القيامة وان المجرمين يخافون مما فيه من السيئات ويقولون ﴿**يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً**﴾ .

ولذلك ذكرت القصة بعد هذا وكان الاسهاب فى التحذير من طاعة إبليس وذريته الذين وقفوا أنفسهم على فتنة بنى آدم واغوائهم .

«**سبب ورود القصة فى سورة طه عليه الصلاة والسلام**» :

وردت القصة فى سورة طه فى عشر آيات من ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم**﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿**ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**﴾ وسياق القصة ومغزاها فى هذه السورة . فى ضعف عزيمة الإنسان وحاجته إلى معونة الله فى تكفير خطيئته وقد جاءت بعد قوله تعالى : ﴿**فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك**

وحيه وقل رب زدنى علما﴾ فأفاد ما قبلها نهى الرسول ﷺ من التعجيل فى القراءة قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من الوحى حتى لا يكون ضعيف العزيمة مثل آدم عليه السلام .

«سبب ورود القصة فى سورة (ص)» :

فى سورة (ص) وردت قصة آدم من أول قوله تعالى :

﴿إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : **﴿قال فالحق والحق أقول . لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين﴾** وسياق القصة لافادة أن من اتبع إبليس فهو معه فى جهنم وقد جاءت بعد قوله تعالى : **﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب . جهنم يصلونها فبئس المهاد﴾**[1] .

إذن فالسياق فى القصة مسبب عن التكرار الذى اقتضاه وإن كل قصة لها ما يناسبها لما قبلها والتكرار يقتضيه ويحتمه سياق القصة نفسها وانها ذكرت للاتعاظ والاعتبار .

● ● ●

هذا ولعلى أكون قد وفقت فيها قصدت إليه وكلفت به .

وما توفيقى إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله .

ما يؤخذ من قصة الاستخلاف من العقائد

جاءت قصة آدم عليه السلام فى سورة البقرة بكثير من العقائد التى يجب الايمان بها وهى كما يلى :

---

(١) انظر فيما تقدم مذكرات فى التفسير الموضوعى لفضيلة الشيخ السماحى .

١ ـ الايمان بالله وملائكته ورسله والجنة والنار . قال تعالى ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ المراد بالخليفة آدم عليه السلام وهو أول الرسل إلى الأرض . والرسل جميعاً هم خلفاء الله فى أرضه الجديرون بالخلافة . وقد ذكر الله تعالى الجنة والنار فى هذه القصة فيجب الإيمان بهما .

٢ ـ اعتقاد حرمة سفك الدماء والفساد فى الأرض . قال تعالى : ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ .

٣ ـ اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى عليم بكل شىء حكيم فى كل ما يفعل قال تعالى : ﴿**إنك أنت العليم الحكيم**﴾ .

٤ ـ اعتقاد أن آدم عليه السلام وزوجه قد كلفهما الله بعدم الأكل من الشجرة «شجرة النهى» .

٥ ـ اعتقاد أن الله تعالى هو المنفرد بخلق الأفعال ومنها خلق التوبة واعتقاد أنه ليس لأحد غير الله تعالى قبول توبة من أسرف على نفسه وقد ضلت اليهود والنصارى حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فكانوا يأتون الحبر ليحط عن المذنب ذنبه وابتدعوا صكوك الغفران لهذا الغرض وكذبوا فقد قال تعالى ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾ وقوله تعالى فى تذييل الآية : ﴿**إنه هو التواب الرحيم**﴾ بأسلوب الحصر قاض بأنه هو التواب لا سواه . ومثل هذا فى الاستدلال قوله تعالى : ﴿**وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**﴾[1] .

---

(١) الآية ٢٥ سورة الشورى .

٦ ـ اعتقاد أن الله تعالى علم آدم بالأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة .

٧ ـ اعتقاد الإيمان بالبعث وما يستلزمه من حشر وغيره قال تعالى : ﴿**ومنها تخرجون** .﴾ ..

٨ ـ اعتقاد أن الكل من الله تعالى خلقاً وإيجادا وإن من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم . قال تعالى حكاية عن إبليس ﴿**فبما اغويتنى**﴾ لا يقال أن إبليس كان مخطئاً فى إسناد الغواية إلى الله تعالى كما يقول المعتزلة فقد قال نوح عليه السلام وهو نبى معصوم لقومه ﴿**ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم و إليه ترجعون**﴾ [١] وقال موسى عليه السلام : ﴿**إن هى إلّا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء**﴾ .

٩ ـ وجوب الاعتقاد أن الخلافة من أمور الدين ومن مهماته إذ بها يكون صلاح الدنيا والدين قال تعالى : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ .

١٠ ـ وجوب الإيمان بحقيقة الجن وإبليس . فمنكر الجن كافر لأنه رد القرآن وانكر أمرا معلوماً من الدين بالضرورة وقد استفاض ذكر الجن وإبليس والشيطان فى الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على ذلك وقد انكر الجن كثير من الفلاسفة وجماهير القدرية كافة [٢]

---

(١) آية ٣٤ سورة هود .

(٢) انظر الباب الأول من كتاب آكام المرجان للعلامة المحدث القاضى بدر الدين عمر عبد الله الشبلى الحنفى فقد أثبت فى هذا الكتاب أخبار الجان ورد على من أنكرهم .

١١ ـ يجب الإيمان بمضمون القصة . فى سورة البقرة أو فى غيرها من اختصام فى الملأ الأعلى وتعليم الأسماء لآدم عليه السلام وعجز الملائكة عن معرفة الأسماء دون آدم الذى علمه سبحانه الأسماء كلها وبمحاورة إبليس لربه ووسوسته لآدم وزوجه عليهما السلام فقد ورد ذلك كله فى القصة مع اعتقاد أنه سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

١٢ ـ وجوب اعتقاد أن الله على كل شىء قدير وانه سبحانه لا يحكمه فى الخلق والتكوين ناموس أو قانون فهو جل جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فآدم عليه السلام خلقه سبحانه ابتداء من طين بدون أب . فصار بشراً سوياً وفى هذا رد على النصارى الذين أطروا عيسى عليه السلام وغلوا فيه حتى رفعوه عن مرتبة البشرية وادعوا فيه ما به كفروا وضلوا : قال تعالى : ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ وقال تعالى : ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**﴾ وقال ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾ .

«**ما يؤخذ من القصة من الآداب والعظات والعبر**» :

القصة ملأى بالآداب والعظات والعبر شأنها شأن بقية القصص فى القرآن الكريم وإليك ما فى قصة آدم عليه السلام بسورة البقرة من ذلك .

١ ـ عدم الاستبداد بالرأى وتعليم المشورة فى قوله تعالى للملائكة ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ توجيه وتعليم لخلقه بشأن

المشورة وعدم الاستبداد بالرأى وإن كانت المشورة مستحيلة فى حقه تعالى لأنه سبحانه وتعالى بكل شيء عليم.

٢ ـ إنه لا مانع من أخذ الكبير العلم من الصغير والانتفاع به يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ والكبير حقيقة من صار أهلاً للانتفاع به والتلقى عنه وإن كان صغيراً.

وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

وأخذ الكبير من الصغير كثير جداً فى تاريخ الإنسانية عامة وتاريخ الإسلام خاصة ومنه عند المحدثين ما يسمى رواية الأكابر عن الأصاغر.

٣ ـ اهتبال فرصة الاستفادة واقتناصها إذا سنحت بجميل العرض وأدب الطلب يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**.﴾ حيث أن الملائكة أرادت بذلك معرفة الحكمة من استخلاف آدم كما انها عرضت باستخلافها إشفاقاً من معصية الله تعالى من بنى آدم فى الأرض.

٤ ـ ومن الآداب رد الطالب رداً جميلاً إذا لم يجب لما طلب ولم يمنح ما سأل ومأخذ ذلك قوله تعالى للملائكة ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾.

٥ ـ توضيح الجواب بتفصيل مجمله وبسط موجزه إذا اقتضى الحال ذلك والمأخذ لذلك قوله تعالى ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة**﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿**قال ألم أقل لكم إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ حيث وضح لهم سبحانه بذلك ما اجابهم

به أولاً من قوله : ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ .

٦ ـ حسن الاعتذار من المسئول إذا لم يوفق للإجابة عما سئل عنه والمأخذ لذلك قول الملائكة ﴿**سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا**﴾ الآية بعد عجزهم عن الإنباء المطلوب منهم فى قوله تعالى : ﴿**أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ .

٧ ـ إظهار فضل ذوى الفضل والتنويه بشأنهم تعظيماً لمن عظمه الله تعالى وتكريماً لمن أكرمه الله يدل على ذلك قول الله تعالى باظهار فضل آدم عليه السلام ويؤخذ هذا الأدب أيضاً من السنة النبوية الشريفة كما قال ﷺ فيما رواه مسلم باظهار فضل أبى بكر رضى الله عنه «**لو كنت متخذاً من أمتى أحداً خليلاً لاتخذت أبابكر**» .[1]

٨ ـ أن يبادر الإنسان بالرجوع إلى التوبة والاستغفار إذا حصل له ووقع منه ما يوجب ذلك فإن التوبة والاستغفار والرجوع إليه تعالى حينئذ سبب فى القبول والعفو والصفح والاكرام منه تعالى .

٩ ـ أن لا يغتر الإنسان بالطاعة ولا يقنط بالمعصية من رحمة الله تعالى بل يكون مع ربه دائماً بالخوف منه والهرب إليه كما يؤخذ ذلك من حال آدم عليه السلام بعد الأكل من الشجرة حيث لجأ إلى الله تعالى فى قبوله وطلبه من الله أن يغفر له فكان ما كان من توبة الله تعالى عليه وتكريمه باستخلافه فى الأرض . ومن حال إبليس فى لجه وعناده بعد عصيانه وامتناعه عن السجود لآدم كما أمره الله .

---

(١) أخرجه مسلم بطرق متعددة فى فضائل الصحابة جـ ٧ ص ١٠٩ طبعة كتاب الشعب .

وقد أداه إلى ذلك غروره بعبادته ورؤيته لنفسه وانه أفضل من آدم عليه السلام .

١٠ ـ أن يكون الإنسان على خوف شديد من مكر الله وأن يطلب العصمة من الله تعالى فإنه لا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون فهذا إبليس قد صار إلى ما صار إليه مع كثرة عبادته واشتهاره بذلك بين الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين . يقول الألوسى : «وأظافير القضاء إذا حكت أدمت وإذا رمت أصمت» .

١١ ـ إن العلم أعظم رتبة واسمى منزلة وأجمل حلية يتحلى بها الإنسان فقد فضل الله سبحانه آدم عليه السلام على الملائكة بعلمه الأسماء وجعله خليفة فى الأرض بسبب ذلك دون الملائكة المقربين.

١٢ ـ وجوب احترام العلماء وتوقيرهم ومعرفة فضلهم . يؤخذ ذلك من توقير الملائكة لآدم عليه السلام واعترافهم بفضله ومنزلته وسجودهم له تكريماً وتعظيماً كما أمرهم الله سبحانه .

وفى الأحياء للغزالى قال الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا الله أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يرد وقال هكذا أمرنا[1] الله أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ .

١٣ ـ ومما يؤخذ من هذه القصة من الآداب أن من سئل عن

---

(١) الأحياء للغزالى جـ ١ ص ٤٤ والحديث صحيح على شرط مسلم كما ذكر العراق فى التعليق عليه .

علم لا يعلمه أن يقول الله أعلم ومأخذ ذلك قول الملائكة ﴿**سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾ بعد قول الله تعالى لهم ﴿**أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ وقول العالم الله أعلم دليل على فقهه وفضله وورعه . وفى القرطبى : وكان علىٌّ رضى الله عنه يقول : وابردها على الكبد ثلاث مرات . فقالوا وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يسأل الرجل عما لا يعلم . فيقول الله أعلم[1] .

ما يؤخذ من القصة من الأحكام الشرعية العملية :

مما يؤخذ من قصة آدم بسورة البقرة من الأحكام الشرعية ما يأتى :

١ ـ وجوب إقامة الخلافة ونصب الخليفة على الأمة وجوبا كفائياً وهى فى ذلك شأنها شأن الوظائف الدينية أو الدنيوية التى يتوقف عليها صلاح حال الأمة كالطب والهندسة والقضاء والجهاد . وغير ذلك من الأمور الدينية أو الدنيوية التى لابد منها فى الحياة واستقامتها والمأخذ لوجوب نصب الخليفة قوله تعالى : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ والآية وإن كانت خبراً فإنها تفيد حكماً شرعياً لأنها خبر من الشارع عن حكم الشرع كقوله تعالى : ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾ وكقوله تعالى : ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ .

٢ ـ حرمة القتل ظلماً وعدواناً وما يؤدى إليه من ضرب أو

---

(١) القرطبى كتاب الشعب ص ٢٤٤ عند تفسير ﴿**قالوا سبحانك لا علم لنا**﴾ الآية .

جرح كذلك كما يؤخذ منها أيضاً أن الإفساد فى الأرض بالتصرف الذى يضر النفس أو الغير أو يعود على المجتمع بالضرر أياً كان ذلك الضرر كالسب والشتم والطعن فى الأعراض والغيبة والنميمة وكل ما اشتمل على فساد ومثل ذلك فى الحرمة الافساد المادى كاحراق الزرع أو إغراقه أو اتلاف حيوان محرم شرعاً أو عرقبته أو إراقة الماء المعد للشرب المحتاج إليه أو إفساده أو قرض الدراهم والدنانير أو تكسيرها . ولذلك شرع الحجر على المجنون والصبى والسفيه وشرع التعذير لن يتسبب فى شىء من الإفساد أو مباشرته حيث لا ضمان لأحد فإن كان ضمان لأحد فنى الردع بذلك الكفاية والمأخذ لذلك قول الملائكة . ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ حيث قالت ذلك إشفاقاً من وقوع المعصية من بنى آدم بالافساد فى الأرض وسفك الدماء ولم ينكر المولى عليهم إنكارهم الفساد وسفك الدماء وإنما أخبرهم بأن هناك من الحكم والمصالح ما لا يترك لأهميته من أجل الفساد وسفك الدماء فقال سبحانه ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ .

٣ ـ ومن الأحكام التى استنبطها المالكية أن المعلق يقع بوقوع المعلق عليه فى اليمين بالله والطلاق والنذر لطاعة اخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾ (بسورة البقرة) ومن قوله تعالى ﴿**فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾ بسورة طه .

٤ ـ إن الأمر المعلق على فعل صادر من شخصين لا يقع إلّا بحصوله منهما أخذاً من قوله تعالى : ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا**

من الظالمين﴾ حيث لم يحصل ما حصل لهما من بدو السوأة إلّا بعد أكلها معاً قال تعالى : **﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه .﴾** بسورة البقرة .

٥ ـ صحة استثناء الشيء من غير جنسه عند الشافعي رضى الله عنه مطلقاً فى المثليات والمقومات حتى لو قال لفلان على دينار إلّا ثوبًا أو عشرة أثواب أو مدّ حنطة وما جانس ذلك مقبولاً ويسقط عنه مما أقربه قيمة الثوب أو الحنطة . وأجاز مالك استثناء المكيل من الموزون أو الموزون من المكيل أما إستثناء المقومات من الموزونات أو المكيلات فلا يجوز والمقومات هى كل ما لا يباع وزناً أو كيلاً أو عدا مما يقصد لذاته وتقدر قيمته بالوصف أو الرؤية والمثليات هى كل ما يباع كيلاً أو وزناً أو عداً والمأخذ لذلك مما ذهب إليه مالك والشافعى قوله تعالى : **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس﴾** حيث استثنى إبليس من الملائكة وهو ليس منهم . وهناك قول فى مذهب مالك باستثناء الشىء من غير جنسه مطلقاً كما أطلق الشافعى فقد قال ابن جزى فى كتابه القوانين الفقهية فإن استثنى من غير الجنس كقوله ألف إلا ثوبا صح الاستثناء على المشهور وذكر قيمة الثوب فأخرجت من الألف وقيل استثناؤه باطل» فنى المذهب قولان فى استثناء الشىء من غير جنسه مع عدم المشاكلة بين المستثنى والمستثنى منه قول بالصحة وهو المشهور وقول بعدمها وهو ما يقابل المشهور .[1]

٦ ـ وجوب دفن الميت فى الأرض وجوباً كفائياً فلا يجوز طرحه

(١) القوانين الفقهية فى الفصل الثالث من باب الاقرار ص ٣٨ .

مكشوفاً ولا إلقاؤه فى البحر حيث أمكن دفنه فى البر قبل تعفنه إن مات فى السفينة فإن خيف تعفنه التى فى البحر بعد غسله وتكفينه والصلاة عليه وكذا لا يجوز طرحه للسباع أو احراقه مهما كان الغرض من احراقه كما يفعله جهلة النيرفانا من الهنود لأن ذلك كله ينافى تكريم الله للإنسان حياً وميتاً . والمأخذ لهذا الحكم قوله تعالى ﴿**ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾ بناءً على أن المراد بالمستقر القبر والحين البعث .

٧ ـ اعتبار الذرائع فى أصول التشريع فالعمل بالذرائع أخذ به الأئمة ومنهم مالك والذرائع الوسائل وزناً ومعنى والذريعة تأخذ حكم ما تؤدى إليه فالذريعة إلى الواجب واجبة والذريعة إلى الحرام محرمة فالذرائع معتبرة فتحاً وسداً ويؤخذ هذا الأصل من قوله تعالى : ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ بيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما نهى عن الأكل من الشجرة نهاه عن القرب منها لأن القرب منها وسيلة إلى الأكل المنهى عنه لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالله سبحانه وتعالى قد نهى آدم عليه السلام من الأكل من الشجرة بلفظ يقتضى الأكل وما يدعو إليه وهو القرب . وقال ابن عطية وهذا مثال بين فى سد الذرائع [1] .

القصص القرآنى أحسن القصص :

القصص القرآنى أحسن القصص وأحسن الحديث بمقتضى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما**

---

(١) القوانين الفقهية لأبى جزى ص ٢٣٨ .

أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾[1] وقوله جل جلاله ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾**[2] .

وإنما كان القصص القرآنى أحسن القصص وأحسن الحديث لأنه قصص حق لا شك فيه وصدق مصنى لا ريب يعتريه ولا يشوبه خيال ولا يتطرق إليه احتمال يحكى الحقيقة والواقع بدون زيغ أو شطط وبلا قصور أو تقصير يوجه إلى الخير ويدل عليه يحمل بين طياته العبرة والعظة هدفه الاصلاح والنسك والأخذ بالفضيلة والأخلاق الكريمة والتجافى والبعد عما لا يجوز من عقيدة أو عمل فهو يهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع الإنسانى كله واسعاد البشرية جمعاء وقصص هذا شأنه جدير أن يهتدى بنبراسه وأن يتخذه الدعاة والمصلحون وسيلة لأغراضهم السامية ببيانه للناس أتم بيان وبالكشف عن اسراره وبيان ما يؤخذ منه من عبر واعظات وبالبحث عن دقيق مراميه والاستنباط من آياته ومبانيه . والاعتبار بحوادثه ووقائعه لصلاح الحال والمآل وسعادة الدنيا والآخرة . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون .﴾**[3]

وقصة آدم عليه السلام واحدة من ذلك القصص تحمل بين

---

(١) آية ٣ سورة يوسف .　　(٢) آية ٢٣ من سورة الزمر .

(٣) آخر سورة يوسف .

طياتها الكثير من العبر والعظات والأهداف السامية والغايات النبيلة وإليك هذه الأهداف باختصار .

الأهداف التى قصدت إليها قصة آدم عليه السلام :

١ ـ إثبات رسالة نبينا محمد ﷺ حيث أنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلم قط من علماء أهل الكتاب ومع هذا فقد جاء بالكتاب المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والذى فيه قصص السابقين واخبار الماضين . وقد أشار سبحانه إلى هذا الهدف قبل قصة آدم عليه السلام بسورة (ص) فقال تعالى : ﴿**قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون . ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون . ان يوحى إلىّ إلا انما أنا نذير مبين**﴾ وهذا هدف كل قصة من قصص القرآن الكريم لذا نبه عليه سبحانه أكثر من مرة فى أكثر من قصة فنبه عليه سبحانه فى قصة موسى عليه السلام بسورة القصص وعقب قصة نوح فى هود وفى قصة مريم بسورة آل عمران قال تعالى فى قصة موسى بسورة القصص ﴿**وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين**﴾[1] وقال سبحانه وتعالى فى تلك السورة أيضاً : ﴿**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك يتذكرون**﴾[2] وقال تعالى فى سورة هود : ﴿**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن**

---

(١) آية ٤٤ سورة القصص . (٢) آية ٤٦ سورة القصص .

العاقبة للمتقين﴾[1] وقال تعالى فى سورة آل عمران : **﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾**[2] .

٢ ـ عناية الله برسوله محمد ﷺ وتكريمه حيث أخبره بقصة آدم عليه السلام تقوية لعزيمته والهاباً لحماسه على الصبر ومواجهة أعباء الرسالة وتهويناً مما يعانيه ﷺ من محن وعناء فى سبيل الدعوة إلى الله فآدم عليه السلام قد ابتلى وامتحن وكان من امره ما كان وكانت العاقبة له ولذلك قال سبحانه لنبيه ﷺ فى سورة هود بعد انتهاء قصة نوح عليه السلام **﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾** .

٣ ـ ومن أهداف قصة آدم عليه السلام بيان وجوب طاعة الله تعالى والخوف منه واللجوء إليه فى طاعته واللجوء إليه الرضا والقبول منه سبحانه وسعادة الدارين . وإن معصية الله ورد امره فيها البوار والهلاك وخسارة الدارين والعياذ بالله تعالى .

٤ ـ بيان عاقبة التقوى والصلاح وعاقبة الفجور والفساد وبيان أن العاقبة للمتقين ولا عدوان إلّا على القوم الظالمين . .

٥ ـ تنبيه بنى آدم إلى وجوب الحذر من الشيطان وتحذيرهم منه وبيان انه لهم عدو مبين فقد أبرز سبحانه عداوة إبليس لبنى آدم عن طريق قصة أبيهم آدم عليه السلام ليعرفوا مدى عدوانه لأبيهم فقد تسبب فى شقائه وشقائهم باخراج أبيهم من الجنة ثم قعد لهم بالمرصاد لإفسادهم وإضلالهم واقسم على ذلك فقال فيما حكاه الله

---

(١) آية ٤٩ سورة هود .

(٢) آية ٤٤ سورة آل عمران .

عنه : ﴿**فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾[1] .

ـ تلك أهم أهــداف قصة آدم عليه السلام وببيانها يكون قد تم بدر تمامها وفاح مسك ختامها . أسأل الله تعالى أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم موصلاً لمرضاته والفوز بجناته إنه هو السميع العليم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تأليف

أبومحــمــد

د . على محمد نصر

أستاذ بجامعة أم القرى ـ معهد اللغة العربية سابقًا

أستاذ ورئيس قسم التفسير ـ كلية أصول الدين بأسيوط

(١) الآيات ١٦ ـ ١٧ سورة الأعراف .

الفهرست

مراجــع قصة استخلاف آدم عليه السلام

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير الفخر الرازى .

٣ ـ تفسير ابن كثير .

٤ ـ تفسير أبى السعود .

٥ ـ تفسير القرطبى .

٦ ـ تفسير الطبرى .

٧ ـ تفسير البيضاوى .

٨ ـ تفسير الألوسى .

٩ ـ تفسير الجلالين .

١٠ ـ تفسير المنار .

١١ ـ تفسير محمد فريد وجدى .

١٢ ـ حاشية الجمل على الجلالين .

١٣ ـ حاشية الصاوى على الجلالين .

١٤ ـ حاشية الشهاب على البيضاوى .

١٥ ـ أحكام القرآن لابن العربى .

١٦ ـ مذكرات فى التفسير الموضوعى لفضيلة الشيخ السماحى .

١٧ ـ مذكرات فى التفسير الموضوعى لفضيلة الشيخ عبدالرحيم فرغل البلبيني .

١٨ ـ صحيح البخارى .

١٩ ـ صحيح مسلم .
٢٠ ـ صحيح الترمذى .
٢١ ـ مستدرك الحاكم .
٢٢ ـ دلائل النبوة للبيهقى .
٢٣ ـ شرح صحيح الترمذى لابن العربى .
٢٤ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانى .
٢٥ ـ احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى .
٢٦ ـ المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار للعراقى .
٢٧ ـ حادى الأرواح إلى معالم الأفراح لابن القيم .
٢٨ ـ العواصم من القواصم لابن العربى .
٢٩ ـ أحكام المرجان فى اخبار الجان للقاضى بدر الدين الشبلى .
٣٠ ـ اتحاف ذوى النجابة بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة لمحمد العربى السطيفى المغربى .
٣١ ـ آدم عليه السلام ـ للبهى الخولى .
٣٢ ـ قصص القرآن الكريم للأستاذ محمد أحمد جاد المولى .
٣٣ ـ قصص الأنبياء ـ للثعالبى .
٣٤ ـ قصص الأنبياء ـ لعبد الوهاب النجار .
٣٥ ـ قصص الأنبياء ـ لابن كثير .
٣٦ ـ لواء الاسلام ـ عدد قديم .
٣٧ ـ القوانين الفقهية لابن جزى المالكى .
٣٨ ـ النفحة الأحمدية فى بيان الأوقات المحمدية لأبى العباس أحمد بن الشمس .
٣٩ ـ الميزان ـ للشعرانى .
٤٠ ـ الملل والنحل ـ للشهرستانى .

٤١ ـ شرح الجوهرة ـ للبيجورى .
٤٢ ـ الفروق ـ للقرافى .
٤٣ ـ اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس لمحمد دياب الاتليدى .
٤٤ ـ حقيقة الديانة الاسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية للأستاذ حسين الجسر .
٤٥ ـ كتاب فلسفة النشوء والارتقاء لشبلى شميل .
٤٦ ـ الخصائص الكبرى للسيوطى .
٤٧ ـ شرح ألفاظ التحيات لابن الخيمى .
٤٨ ـ الوفا لابن الجوزى .
٤٩ ـ التعليق على القرطبى «كتاب الشعب» .
٥٠ ـ البداية والنهاية لابن كثير .
٥١ ـ مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوى المالكى .

«والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات»
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

د . على محمد نصـــــر

صدر من هذه السلسلة

٢٦ـ تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	الدكتور محمد شوقي الفنجري
٢٨ـ وحي الله	الدكتور حسن ضياء الدين عتر
٢٩ـ حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠ـ المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار
٣١ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢ـ الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج	الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣ـ الاعلام في المجتمع الاسلامي	الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤ـ الالتزام الديني منهج وسط	عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٣٥ـ التربية النفسية في المنهج الاسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦ـ الاسلام والعلاقات الدولية	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٣٧ـ العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨ـ معاني الأخوة في الاسلام ومقاصدها	الدكتور محمود محمد بابللي
٣٩ـ النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	الدكتور علي محمد نصر
٤٠ـ من التراث الاقتصادي للمسلمين	الدكتور محمد رفعت العوضي
٤١ـ المفاهيم الاقتصادية في الاسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢ـ الأقليات المسلمة في أفريقيا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣ـ الأقليات المسلمة في أوروبا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤ـ الأقليات المسلمة في الأمريكتين	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥ـ الطريق إلى النصر	الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦ـ الاسلام دعوة حق	الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧ـ الاسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨ـ دحض مفتريات	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩ـ المجاهدون في فطاني	الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠ـ معجزة خلق الانسان	الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١ـ مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	الدكتور سيد عبد الحميد مرسي
٥٢ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي	الأستاذ أنور الجندي
٥٣ـ الشورى سلوك والتزام	الدكتور محمد أحمد البابلي
٥٤ـ الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أسماء عمر فدعق
٥٥ـ مدخل إلى تحصين الأمة	الدكتور أحمد محمد الخراط

الرقم	العنوان	المؤلف
٥٦	القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٥٧	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨	الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩	نظرات في قصص القرآن	محمد قطب عبد العال
٦٠	اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات	الدكتور السيد رزق الطويل
٦١	بين علم آدم والعلم الحديث	الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
٦٢	المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان	الدكتور محمد الصادق عفيفي
٦٣	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	الدكتور رفعت العوضي
٦٤	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	الأستاذ عبد الغفور عطار
٦٧	العدل والتسامح الاسلامي	الأستاذ أحمد المخزنجي
٦٨	القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٦٩	الحريات والحقوق الاسلامية	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠	الانسان الروح والعقل والنفس	الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١	كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية	الدكتور شوقي بشير
٧٢	الاسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣	تأملات قرآنية	الدكتورة عصمة الدين كركر
٧٤	الماسونية سرطان الأمم	الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥	المرأة بين الجاهلية والاسلام	الأستاذ سعد صادق محمد